تقدم ما يدل على حضورها ـ ارواح الاحياء لا تستحضر) الى طريقتهم الجديدة : شبح الروح يظهر شخصياً ، ويمكن ان تظهر ارواح الاحياء ! . . . فالمخدرات وهلوساتها تهيئهم لهذا التطور الحاسم في مختبراتهم لتحضير الارواح . . . وان كانت ارواح الأحياء تظهر نادرا جدا ، ويكون صاحب العلاقة خلالها نائما او بالاحرى بين الموت والنوم !

سألتهم :لماذا العري ؟ . . .

ـ لان الروح قادمة من عالم الروح حيث لا ثياب . . . ان ذلك يجعلها تشعر بمزيد من الالفة معنا ، ويزيدنا اقترابا من اجوائها التي لا تعرف رجس الثياب وانما طهارة العري ! . . .

القتل ،أو استحضار الارواح

ليلة وصولي الى لندن ووقوفي في غرفة تحضير الارواح وجماعة الهيبيين تستحضر روحي ، وجون يخاطب شبحي ، ظننت انني امام حادثة فردية لا تستحق التسجيل الا على سبيل النكتة . . .

لكنني فوجئت في الايام التالية ، وانا انتقل من دار لتحضير الارواح الى اخرى ، ومن كهف الى آخر ، بأنني امام ظاهرة جماعية تستحق الرصد . وتحضير الارواح (والسحر وغيرهما من وسائل تخطي ما وراء الطبيعة) ليس اختراعاً هيبياً ، ونحن نجده متفشياً في المجتمعات المختلفة (وبصورة خاصة في المجتمعات القديمة ، او المعاصرة المتخلفة) . . . واذا كان قدماء الاغريق والرومان يستشيرون عرافات دلفي عن موعد البدء باطلاق نبالهم وتوقيت حروبهم ، ففي ايامنا المعاصرة نجد ايضا مسؤ ولين يرجعون الى وسيط الارواح اكثر من رجوعهم الى الرادار .

ولكن ، ماذا يريد الهيبيز من الارواح ؟ وما الذي اوصلهم الى الارواح ؟ . بدأت الحركة الهيبية بشكل حركة عصيان شابة انفجرت منذ سبعة اعوام . . . حركة تطالب برد الاعتبار للفرد بعد ان سحقته الآلية والبيروقراطية والطبقية وسيطرة المؤسسات القديمة المتعفنة ووحشية الحياة الصناعية المعاصرة . هذه كلها حولت الانسان الى مجرد رقم ، ورمت به بين انياب المدينة الكبيرة التي لا ترحم ، حيث قانون الغاب يسود في غاب معاصر جديد : غاب من الابنية والحجارة والآلات والاطر المهيأة سلفاً لكل فرد . (هذا الرفض عبر عنه ايضا كبار الادباء المعاصرين امثال فولكز وت . س . اليوت،وشتاينبيك وكافكا وغيرهم ، ولكنهم عبروا عنه بصورة مبدعة خالدة) .

اذن ثار الهيبيز في محاولة لايقاف هستيريا التقدم التكنولوجي على حساب الانسان

Akhawia.net

والتذكير بان الانسان ما يزال انساناً وان اعصابه عاجزة عن احتمال هذه الضغوط الرهيبة التي يدفعها ثمنا لهستيريا العلم . . . هستيريا التسلح . . . هستيريا الذرة . . . هستيريا الرحيل الى القمر . . . ثار الهيبيز في محاولة لتذكير هذا العالم المجنون اللامبالي بالفرد ، بأن المدنيّة والعلم وجدا لخدمة الانسان ، وليس العكس . . . وبان الحروب (الجشعية) يجب ان تتوقف . . . وبان الحضارة الحقيقية هي في اكتشاف مجاهل اعماق الانسان ومبعث آلامه ومداواتها ، قبل اكتشاف اعماق البحار او مجاهل القمر . . .

من هنا انطلقت حركة الهيبيز في الغرب : من دوافع انسانية رائعة . . . ولكنهم كانوا ـ للاسف ـ اسوأ محامين لأعدل قضية . . .

منذ البداية لم يكن هنالك اي تطابق بين سلوكهم الذاتي وبين المبادىء التي يدعون اليها . . .

نادوا بالردة الى الطبيعة الام ، لكنهم لوثوا الطبيعة حين جعلوا منها ديكورا لمسرحياتهم الانفلاتية الهستيرية (جنس غير مسؤول . مخدرات . وحتى جريمة !) . ونادوا بالتحرر من قذارة المداهنات الاجتماعية ، لكنهم رفعوا راية العداء ضد الماء والصابون . نادوا برفض الصالونية التقليدية في المظاهر ، لكنهم في رفضهم تبنوا بديلاً تقليديا آخر : هو الشارعية التقليدية بدلا من الصالونية .

نادوا بالحب ، لكنهم ناصبوا العالم العداء . . . بل ناصبوا انفسهم العداء ، اذ انحدروا بالذات الانسانية ـ التي ادعوا تكريمها ـ الى احط درجات البهيمية . . .

ورغم ذلك كله امتدت امبراطوريتهم لتغطي وجه اكثر من قارة . . . ولتنقل عدوى الوباء الى اكثر من مكان . . .

ومرت الايام . . .

ولكن حركة الرفض العادلة هذه لم تتبلور ضمن اطار فلسفي واضح المعالم وانما ازدادت انحرافاً عن منطلقاتها .

لم يكن للهيبيز خط تحرك واضح . . . ولا هدف واضح . . . وسقطوا في الهوة القائمة بين فكرهم وسلوكهم . . . تلك الهوة التي تفصل عادة بين الثوار والمهرجين . . . وصارت كلمة « هيبي » تذكر فوراً بسلوك لا مسؤول لا واع ، مائع ومهزوز كزئبق بلا وعاء . . .

رفضهم لسقوط العالم في هوة الآلية كان عادلاً . لكنه كان رفضاً سقط بدوره في هوة الرخص ، وافترسه الحشيش والتخدير والانحلال الخلقي والاستخفاف بالمبادىء

Akhawia.net

الانسانية الاساسية . . . وهكذا كانوا « صرعة » بدلاً من « ثورة » . . . يقتاتون كل عام بصرعة جديدة . . .

صحيح انهم قطعوا علاقتهم مع العالم القائم (التقليدي البشع) ولكنهم ايضا فشلوا في خلق بديل جديد له . . . ووجدوا انفسهم يهرولون في طريق مسدود بدأت تصبح رتيبة بل وحتى تقليدية . . . وهذا العام حمل الينا تيارين هيبيين اساسيين حاولا تجديد السلوك الهيبي : ١ ـ الجريمة ، ٢ ـ تحضير الارواح .

تيار الجريمة هو المحاولة الاولى لتخطي الطريق المسدود لامبراطورية الهيبيين عبر العنف . ويمثل هذا التيار تشارلز مانسون بطل مجزرة (شارون تيت والمجموعة) . . . فقد احس الهيبيون بأنهم صاروا مثل روبنسن كروزو المعزول في جزيرته . صاروا معزولين في جزيرة رفضهم للعالم الخارجي ، ولكنه رفض سلبي لم يبدل في الامور شيئاً ، بل على العكس ، كان على كل هيبي يبلغ الثلاثين (دون ان ينتحر او توصله المخدرات الى احد المصحات) ان يعود للاندماج في المجتمع عبر البحث عن عمل ، والزواج والاستقرار والاستعداد لكهولته ضمن الاطارات التقليدية القائمة التي لم يستطيعوا ايام هيبيتهم اختراع مؤسسات بديلة لها . . . (مؤسسة « الجنس الجماعي » فشلت في ان تكون بديلاً عن مؤسسة الزواج مثلاً) . . . وهكذا فان « روبنسن كروزو الهيبي » خرج من جزيرته وقرر ان يكون قرصاناً ليدمر بالعنف ما فشل في تدميره بالحب) ! . . .

اما المخرج الثاني للهيبيز من طريقهم المسدود فكان عبر تحضير الارواح ! . . . فهم بعد ان هجروا العالم الخارجي وهجرهم ، قرروا ان يتعاملوا مع نوع آخر من البشر . . . بالضبط : مع الارواح ! . . . لقد عجزوا عن التعايش مع (قذارة) المجتمع حولهم ، فقرروا التعايش مع مجتمع بشري آخر هو مجتمع الارواح . . . وهكذا فان روبنسن كروزو لن يقبع وحيداً في جزيرته ، ولن يصير قرصانا يواجه العالم الخارجي بالعنف ، لكنه بكل بساطة (سيخلق) لنفسه مجتمعاً جديداً يستحضره . . . هو مجتمع الارواح الذي لم تعد حقارات المؤسسات والمصالح تدنسه ! . . . ربما كان في هذا تفسير لانتشار تحضير الارواح المفاجيء في الاجواء الهيبية . . . وربما كان هنالك تفسير آخر ، وهو ببساطة ان الهيبيز الذين سئموا ممارسة حياتهم الرتيبة (جنس . مخدرات . ازياء عجيبة غريبة . رقص مجنون . مهرجانات جماعية مثل وودستوك في اميركا وسولزبيري في بريطانيا) . وهذه كلها صارت تقليدية بعد انقضاء اعوام طويلة على تكرارها ، وجدوا في

Akhawia.net

تطعيم هذه الحياة بحكاية الارواح نكهة جديدة مثيرة للخيال تستطيع ان تحميهم من السأم والتكرار فترة لا بأس بها ريثما يجدون صرعة جديدة يطلعون بها . . . (ويؤكد ذلك ان تحضير الارواح على الطريقة الهيبية هو حفلة تعرية وحشيش وجنس . انهم يعاملون الارواح وكأنها زبائن في كاباريه) .

ولكن ترى هل تكون هذه الصرعة هي آخر صرعات الهيبيين ؟ . . . كل الدلائل تشير الى سقوط امبراطورية الهيبيين نهائيا . . . لقد قطعوا آخر خيط كان يمكن ان يربطهم بالحياة اليومية ومصير الفرد العادي والانسانية . . . لقد رموا عن اكتافهم نهائيا المسؤ ولية التي تحتمها عليهم مبادئهم (التي ادعوها) ، ورحلوا عن ذلك كله لينتهي بعضهم على الكرسي الكهربائي وبعضهم الآخر وسيطاً مزيفاً لتحضير ارواح مزيفة . . .

وحتى الصبغة اليسارية والتقدمية التي طالما ادعوها ، لم تكن الا من بعض صرعاتهم المزاجية ، التي كشف الزمن زيفها ، وصورة تشي غيفارا التي كانت معلقة في غرفة تحضير الارواح خيل الي ان الدموع تنحدر من عينيها . . . وان اسنان غيفارا التي تكشف عنها ضحكته صارت مخالب غيظ وانياب استياء . . .

ان من يزور لندن اليوم يشاهد في واجهاتها مجلات جديدة تتحدث عن السحر وعوالم ما وراء الطبيعة ، مجلات تروج اليوم كما راجت قبلها مجلات الجنس والمخدرات . . . فالسحر هو الموضة الجديدة ، وتحضير الارواح هو صرعة الموسم . . . والطريف ان بين هذه المجلات مجلة عميقة وجيدة اسمها « الانسان ـ الايمان ـ السحر » وهي دراسة فنية وتاريخية قيمة عن علاقة الانسان بما وراء الطبيعة منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا ، ويشرف على تحريرها طائفة من اساتذة الجامعات ! . . .

وداعا أيها الهيبيز

وبعد ،

ذهبت لازور رفاقي القدامى الهيبيز لأرى الى اين وصلوا . . . واي جديد في الوجود اكتشفوا . . . فوجدتهم قد هاجروا نهائياً عن عالم الواقع الى عالم الارواح ، وهم الذين انطلقوا ذات يوم من محاولة تبديله ! . . . ويا قارئي العزيز ، اذا زرت لندن هذه الايام ، لا تظن ان الدليل يسخر منك اذا سألك : هل تحب ان تقضي سهرتك في المسرح ، ام في تحضير الارواح ! . . .

Akhawia.net

لندن ٢٥/ ٦/ ٧١

العري « تقدمي »والمسرحية رجعية

رغم ان تحضير الارواح وفقا للطقوس الهيبية هو الصرعة اللندنية لهذا الموسم الا ان لندن لم تصبح بعد قاعة مغلقة لتحضير الارواح . . . وتظل لندن الثقافية ذلك المركز الفكري الغني بمختلف النشاطات الفنية التي تتفجر في شرايين حياتها الانسانية . . . ويظل اهم ما يميز لندن هو ذلك الالق والتنوع في مختلف الاتجاهات المعاصرة والكلاسيكية . . .

ففي مسرح جديد في هولبورن يقدم مسرحية (اوه كالكوتا) ١٢ شابا وفتاة وكلهم حفاة عراة على المسرح ، وعلى بعد مئة متر منهم على خشبة مسرح (الاولدويتش) يقام مهرجان لمسرحيات شكسبير بكل ما فيها من وقار الكلاسيكية (وحشمتها) . . . وكل ذلك في شارع واحد وعصر واحد وليلة واحدة .

ورغم ان تحضير الارواح على الطريقة الهيبية هو في نظري مسرح وسينما واستعراض عجيب غريب تمتزج فيه الطرافة بالمأساة ، وخواء الواقع المعاش بالخرافة ، الا ان خمس ليال قضيتها متنقلة بين كهف وآخر كانت كافية لاشباع فضولي . . . ولعل ما شدني الى جلسات تحضير الارواح الهيبية هو المفارقة الكبيرة التي تتضمنها هذه الاحتفالات . . . فقد كنت اخرج من غرف مليئة بعدة السحر وصرخات الوسطاء وتمتمات الارواح واجواء العصور الوسطى لاجد نفسي فجأة في اجواء شارع لندني حديث ، كل ما فيه يرفع صوته بآخر الصيحات الحديثة في القرن العشرين ، وكأنني ركبت آلة الزمن (التي خلقتها مخيلة ج .هـ .ويلز) وقضيت سهراتي متنقلة عبر التاريخ اقفز من قرن الى آخر كلما قفزت عن عتبة غرفة تحضير الارواح الى الشارع . . .

ولكن خمس ليال كانت كافية لاستنفاد حتى هذه الطرافة ، ووجدتني اعود الى قواعدي سالمة ، ابحث عن الوجه الآخر للندن . . . الوجه الحقيقي والاصيل الذي هو وحده في النهاية يمنحها تلك القيمة الانسانية المعاصرة . . . لندن التنوع الفكري والخصب الفني .

انطلقنا ـ اسرة عربية مقيمة هناك وأنا ـ الى مسرح (اولدويتش) سعياً وراء

Akhawia.net

شكسبير فوجدنا الانكليز كعادتهم مقبلين على حضور كاهنهم المبدع وعلى الباب لافتة : لم تبق محلات .

وسرنا بضع خطوات ووجدنا انفسنا صدفة امام مسرح مجاور يقدم مسرحية (اوه كالكوتا) الشهيرة . . . وبسهولة استطعنا ان نشتري بطاقات للمسرحية (هذا ليس اعتذارا عن حضور المسرحية ، وانما هو تسجيل لواقع فاجأني : وهو ان جمهور شكسبير ما يزال اكبر من جمهور العري والصرعات بدليل وجود مقاعد فارغة في (اوه كالكوتا) قبل رفع الستارة بدقائق ، ونفادها في مسرح شكسبير قبل موعد تقديمها بأيام ! . . .) .

والواقع انني قرأت الكثير عن (اوه كالكوتا !) وسمعت الكثير عنها وعن شقيقتها مسرحية (هير) ، واذا كانت (اوه كالكوتا) قد حظيت ببعض اعجاب الغرب ، الا انها لم تظفر بكاتب عربي واحد يدافع عنها ويؤ يدها . . . ربما كان ذلك بالذات ابرز ما حفزني لحضورها . . . فقد خيل الي ان الذين كتبوا عنها من العرب ربما هاجموها احتراما للشعور العربي العام المحافظ ، وانهم شتموها في صحفنا هنا بعد ان كانوا قد صفقوا لها طويلا هناك ! . . ولكنني بعد ان شاهدتها بت اعتقد انهم كانوا في غاية الاعتدال في هجومهم عليها . فقد هاجموا العري في المسرحية والابتذال الجسدي ونسوا ان يحاربوا الرخص الفكري فيها الى حد خلوها من اية لمعة فكرية مبدعة . (اوه كالكوتا) ليست مسرحية (ولم يدع ذلك مؤلفها على اية حال) ، وانما هي استكشات استعراضية موسيقية كتبها اكثر من فنان وناقد وجمعها ونظمها الناقد المسرحي البريطاني المعروف كينيث تينان . والمقصود من المسرحية متابعة خطى مسرحية (هير) في هزها للاخلاقية التقليدية الزائفة والمؤسسات العفنة التي تكرسها . . . هذا بالاضافة الى (قضاء سهرة مثيرة لا هي بسهرة تهريجية رخيصة ولا هي بسهرة في الكاباريه غالية التكاليف) . . .

هذا ما تقوله مقدمة الكتاب الذي طبع فيما بعد والذي (يشرح) الاستعراض ويرويه ! . . . لكن الاستعراض لا يقول شيئا من هذا كله في كافة مقاطعه (استثني من ذلك مقطعا واحدا لم يتجاوز العشر دقائق من مجموع الاسكتشات الطويلة المملة ، وفيه نرى (بنت العيلة) تشجع خاطفها على اغتصابها بأسلوب يجسد مراوغات وزيف طبقة معينة من الفتيات تدعي البراءة والطهارة التقليدية بينما هي في اعماقها غانية وسلعة (نموذج موجود في بلادنا العربية بكثرة) .

اما بقية مشاهد الاستعراض فنستطيع ان نسمع افضل من نكاتها واحلى من موسيقاها في اي (كاباريه) درجة ثانية في لندن . والسكتش الذي يمارس فيه الممثلون

Akhawia.net

الجنس على المسرح (عمليا : لا رمزيا على طريقة عصام محفوظ) هو اسوأ اجزاء الاستعراض المسرحي بسبب سخافة نكاته وسماجتها وبلادة الحوار ورخصه . . .

وباختصار (اوه كالكوتا) هي بمثابة مسرح اختبار جنسي للهواة ! . . . وتنتهي المسرحية كما تبدأ (١٢ شابا وفتاة على خشبة المسرح عارين تماما) بينما تسلط الانوار الكاشفة على اجسادهم لتجردها حتى من الظلال وتكشف عنها بتحد رخيص ، ويفقد الجسد البشري ذلك النبل الذي وضعه فيه كبار النحاتين الاغريق والرومان وسواهم على طول التاريخ ، كما يفقد حتى جمال العري الحيواني وجلاله الذي نراه في اجساد النمور والفهود ولا يبقى امامنا على المسرح سوى عري (شارعي) تافه الايحاءات .

وكما ان (اوه كالكوتا) تنتهي كما تبدأ ، كذلك يخرج المتفرج منها كما دخل ، دون ان يكتسب خبرة انسانية جديدة او حتى مجرد التسلية العابرة . . . ويخرج وكله قرف واشمئزاز بل ويخرج منها متمسكا بثيابه فعلا (لانهم في اخر بعض الحفلات يقومون بحمل احد المتفرجين من الصالة الى المسرح ليؤدي وصلة ستربتيز اجبارية !) ويخرج المتفرج ايضا متمسكا بثيابه فكريا لان المسرحية سيئة الى حد يحول المتفرج التقدمي الى رجعي بدلا من ان يحول الرجعي الى تقدمي ! . باختصار ، (اوه كالكوتا) بكل ما فيها من عري وجنس رجعية جدا ، وغير تقدمية ابدا ، رغم انها محسوبة على التقدمية والثورة الجنسية ! . . . فهي لتفاهتها تحبب الى نفوسنا حتى الاخلاق التقليدية ـ بكل ما فيها من مهازل ـ ما دام البديل الذي تقدمه لها هو الرخص الذي شهدناه على المسرح . . .

في مسرحية (هير) مثلا احببت ظهور الابطال عارين على المسرح ، فقد كان في نص المسرحية وروحها طرح جديد لقضية الجسد يستدعي ذلك العري ، هذا اولا ، ثم ان العري كان جميلا في مسرحية (هير) فالاضاءة الملونة والشاحبة حولت الاجساد امامنا على المسرح الى تماثيل اغريقية بعثت الى الحياة . . . المهم في العري على المسرح او في اللوحات او التماثيل ان يكون ذلك العري فنيا . . . (كمثال على ما اعنيه بالعري الفني اذكر القارىء بلوحة (خلق الكون) التي رسمها مايكل أنجلو على سقف وجدران (محراب السيستينا) احدى كنائس الفاتيكان والتي يحج اليها كل يوم عشرات من رجال الدين وعشاق الفن . . . ورغم ان اللوحة تتضمن اكثر من ٣٠٠ جسد عار لامرأة ورجل وطفل ، الا انه عري لا يذكر الانسان بالجنس ، واذا فعل فانه لا يضخمه على حساب بقية الحقائق الانسانية التي يمثلها جسد الانسان وروحه وفكره : اي الذات الانسانية المسكوبة في قالب الجسد) .

Akhawia.net

ومسرحية (هير) كانت اكثر قربا الى هذا المفهوم ، بالاضافة الى روعة موسيقاها وجمال اغانيها والفاظها غير النابية ـ اذا قيست بأوه كالكوتا ـ . وفي نظري ان اقدام كتاب معروفين على كتابة نصوصها امثال (جون ليندون . جوليانا باري . وسماح بيكيت لهم باستغلال بعض حواره) لا يبدل شيئا في حقيقة صارخة : تفاهة بعض هذه النصوص ، وتفاهة اسلوب تقديم بعضها الآخر .

ترى ما هو سبب الاقبال الجماهيري على هذه المسرحية ؟ . . . .

العري ؟ يجده الفرد الاوروبي (الذي لا يشكو من الكبت) بمزيد من التسهيلات في اية صالة ستربتيز .

ممارسة الجنس ؟ لم تعد جديدة على المتفرج الغربي ، وما شاهدناه في هذا المسرح يشاهد الاوروبي اكثر منه بكثير في دور سينما سوهو وغيرها .

النكات الاباحية ؟ موجودة في اي كاباريه .

اعتقد ان سر نجاحها هو في انها نقلت الكاباريه الى المسرح والى الاوبرا . وان كبار البورجوازيين الذين لا يجرؤون على ان يشاهدهم الناس في كباريه ، يسعدهم ان يذهبوا الى دار اوبرا ليشاهدوا فيها ما كان عليهم ان يتسللوا ويتلصصوا لمشاهدته في الكاباريه . . .

ففي هامبورغ قدمت (اوه كالكوتا) في (اوبراتنهاوس) وللمرة الاولى تكسر تقاليد دار للاوبرا وتستحيل خشبتها الى (وكر ملذات) ! . . . (اوه كالكوتا) تمسح عن المسرح قداسته ، وتغمره بتلك الموجة التي اضاعت الخيط بين الثورة الجنسية الحقة وبين الاباحية الحيوانية . . . واذا كانت مسرحية (هير) هي بداية الموجة ، والعري فيها طفولي وخجول ، فان (اوه كالكوتا) تمثل الوجه الشرس الفجور للموجة ، وهي بالتالي (الرائدة !) الاولى في نقل الفراش وما يدور فيه الى المسرح . . .

ولكنني رغم رأيي السلبي جدا في (اوه كالكوتا) وجدت ان من واجبي ان اتحدث عنها لقارئي العربي ، لان المسرحيات الفاشلة تعلم الانسان احيانا اكثر مما تعلمه المسرحية الناجحة . . . وفي بلادنا العربية صيحات كثيرة تنادي بضرورة ثورة الانسان الغربي لأجل انتزاع حرياته كلها بما فيها حريته الجنسية ، واعتقد ان مسرحية مثل (اوه كالتوكا) تلفت انظارنا الى ان الثورة الجنسية على الصعيد العربي قد تكون ضرورية ، ولكن الاهم هو الا نضيع ذلك الخيط الرفيع الذي يفصل بين الحرية وبين الاباحية . الحرية كاداة لانسنة الجنس ، والاباحية كانحطاط به الى درك اسوأ من درك الاخلاق

Akhawia.net

المراثية ! . . .

ثم ان (اوه كالكوتا) شئنا ام ابينا استعراض مسرحي شاهده حتى الآن ما يفوق المليون متفرج اميركي وغربي ، وقدم على مسارح نيويورك وهامبورغ وباريس ولندن ، ومن الضروري ان نعرف عن هذه المسرحية شيئا ما ، على الاقل كي لا نتحسر على عدم عرضها في مسارحنا ! . . .

ويظل شكسبير يشرق

« فأما الزبد فيذهب جفاء . . . واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » . . . ذلك ينطبق ايضا على المسرح . . . وشكسبير ما زال في مسارح العالم كله منذ كان ، وسيظل . . .

والمخرجون البريطانيون يتفننون كل عام في ابراز زوايا جديدة في اعمال شكسبير لم تكن لتخطر ببال . وفي السنوات الاخيرة يلح المخرجون على ان اعمال شكسبير كلها هي ايضا من مسرح اللامعقول (بصورة خاصة مسرحية الملك لير وحلم ليلة صيف) ، وان شكسبير هو ابو اللامعقول . ولكن مهرجان شكسبير في مسرح الاولدويتش لهذا العام كان محتفظا بالطابع الكلاسيكي في الرؤية الاخراجية وفي التقديم ، وكان مهرجانا رائعا لم يخل ليلة تقديم مسرحية (تاجر البندقية) من الشغب الصهيوني - بطل مسرحية تاجر البندقية نموذج لتاجر يهودي بخيل جشع حتى الجريمة - . . .

ويظل شكسبير العظيم هو شكسبير سواء قدم في اطار اللامعقول او المعقول . . . وتظل الكتابة عنه في رسالة سريعة امراً مستحيلا ، فهو اكبر من كل العجالات ، ويستعصي على التلخيص . . . الكتابة عن شكسبير تعني اصدار ملحق خاص به . (وهو امر متعذر في هذه اللحظة !) ويكفي لندن الثقافية مجدا ان لا تخلو مسارحها طوال السنة من عمل شكسبيري يقدم للجائعين الى الابداع والجلال الفني الخالد .

حتى التلفزيون ، ابداع فني

بعد ليال غنية بالمسرح والسينما (فيلم كين راسل عن تشايكوفسكي) وبعد مناخات مسرحية متعددة ، من جو الاثارة والتشويق في مسرحية (مصيدة الفئران) لاجاثا كريستي التي تعرض على مسارح لندن منذ ١٥ سنة ! ، وجو المرح الضاحك في مسرحية (هناك فتاة في حسائي) ، وجو الغضب الذي غمرنا ونحن نشاهد مسرحية (العازف على السطح) الجيدة (للاسف) والمليئة بالدعاية الصهيونية ، وبعد زيارة (تيت جالري وغيره من المتاحف والمعارض الفنية والدورية والدائمة في لندن ، كان لا بد من امسية

Akhawia.net

نرتمي فيها اعياء ، ونسكت فيها جميعا ونترك التلفزيون يتحدث .

وحتى التلفزيون هنا هو اداة حضارية وفنية رائعة . . . فقد شاهدنا ندوة مع المخرج السينمائي كين راسل (الذي اخرج رواية د . هـ . لورانس : نساء عاشقات . واخرج مؤخرا فيلمه عن حياة تشايكوفسكي : عشاق الموسيقى) .كانت ندوة فكرية بحق ودار الحديث فيها حول فيلمه الاخير (عشاق الموسيقى) الذي سبب هزة في الاوساط الفكرية البريطانية وانقسم النقاد حوله بين اقصى التأييد واقصى النقد . . .

ولم تدر الندوة على الطريقة « الحنكشية » ، ولم يقل حنكش انكليزي للمخرج كين راسل (يا تقبرني يا حياتي يا سلام) ، اذ لا مكان في تلفزيون لندن الذي يحترم نفسه ويحترم مشاهديه لهذا النوع من المجاملات الشخصية التي تعبر عن رأي صاحبها وحده ، ولا تهم احدا سواه ! . . . لقد جاؤوا الى التلفزيون بالنقاد الذين هاجموا فيلمه ـ لا الذين ايدوه ـ واقاموا بينهم وبين كين راسل حوارا علنيا وكرروا فيه اتهاماتهم ورد هو عليهم . . . وكان في ذلك نموذج لبرنامج تلفزيوني يخرج فيه الانسان بما ينفعه . . . برنامج بعيد عن الرخص والتفاهة والافتعال وحشر اصحاب غير الاختصاص مع اصحاب الاختصاص في حوار هو مثل حوار الطرشان كل يغني فيه على ليلاه . . . وتذكرت بحسرة تلفزيوننا الكريم في لبنان .

أيها الفنان ، لماذا لندن ؟

كل فنان عربي يعيش في لندن هو بحد ذاته نموذج فكري يستحق نتاجه كثيرا من التأمل لانه يرد على كثير من الاسئلة المطروحة حول الابداع والمناخ الانساني والحرية الفكرية وغير ذلك . . . ولان احمد عثمان كان امامي تلك الليلة ، اخترته موضوعا لتأملات كهذه .

واحمد عثمان كاتب مسرحي شاب ، في الخامسة والثلاثين من عمره ويبدو في الخامسة والعشرين من عمره .

بدأ حياته الادبية بمسرحية (بيت الفنانين) التي اثارت ضجة كبيرة في مصر في اوائل الستينات ، وقال يومئذ توفيق الحكيم عن احمد عثمان : هذا الشاب سيخلفني في المسرح . . .

ولكن خليفة توفيق الحكيم لملم اوراقه وذاته وسافر مع زوجته نجلاء مدحت عاصم الى الكويت للعمل . . وبعد بضعة اشهر طارا فجأة الى لندن وما زالا هناك منذ ٦ سنوات . . . سافرا لقضاء عام دراسي هناك ، ولم يعودا . . . وقد لا يعودان . . . من

Akhawia.net

يدري ؟ . . .

في لندن يعمل احمد لكسب عيشه في اي حقل . . . وجهه الشرقي الملامح استطاع ان يكون من بعض موارد رزقه، فصار نجما للاعلانات ، تزين صوره اغلفة المجلات وجدران المترو ! . . . وفي هذه الاثناء يتابع نشاطه المسرحي . « ثقب في السماء » مسرحيته التي كتبها بالعربية وترجمها الى الانكليزية قدمت بنجاح على المسرح هناك ولفتت انظار النقاد والمخرجين . . . في الوقت نفسه يتابع دراسته في الجامعة ، وفي الشوارع ايضا ، حيث النماذج البشرية تعج بها شواراع لندن وكأن كل رصيف هو مسرح حي بحد ذاته . . . وزوجته نجلاء تابعت دراستها في الفن وتماثيلها تملأ دارهما حيث جلسنا نتحدث ، وتطل علينا عبرها وجوه اليفة محببة : وجه والدها . . . وجه جمال عبد الناصر . . . الطيب صالح . . . ووجوه صديقات لندنيات . . . ونجلاء ترسم ايضا ، لكنها كنحاتة في نظري افضل منها كرسامة . . . انها نحاتة من الطراز الاول ، قادرة على نقل التعابير والملامح بصورة مدهشة . . .

ونعود الى احمد . . . ماذا يفعل هذه الايام ؟ . . .

ادار شريطا مسجلا ، واستمعنا الى مسرحية تدعى (اليعازر) بصوت فنان محترف .

قال لي احمد : هذه اول مسرحية اكتبها مباشرة باللغة الانكليزية . بعد جهد سنوات استطعت ان اتوصل الى الكتابة بالانكليزية مباشرة .

قلت له : حسنا . . . وماذا بعد ؟ . . . هل قررت الاستقرار هنا ، والكتابة بالانكليزية ، وهل تستطيع ان تكون صمويل بيكيت آخر ؟ الا ترى معي ان العودة محتومة ، وان الوقت قد حان لترجع الى القاهرة او الى اي بلد عربي ؟ . . .

قال لي : كنت انوي العودة ، ولكنني تلقيت هذه الرسالة مؤخرا .

ناولني رسالة من المخرج البريطاني الكبير (بيتر بروك) وفيها يطلب من احمد العمل معه في مؤسسة جديدة اسمها : (انترناشيونال سنتر اوف تياتر ريسورتش) اي : المركز العالمي للابحاث المسرحية . وما تزال الاتصالات تدور حاليا بين احمد عثمان وبين معاون بيتر بروك : جيوفري ريفز .

المركز دونما شك مغر . ولكن هل هذا هو السبب الحقيقي لبقاء احمد عثمان في لندن ؟ . . . (اتحدث هنا عن احمد عثمان واتحدث عبره عن كل فنان عربي ـ وما اكثرهم ـ عرف نوعا من الهجرة الى عاصمة اوروبية ما واستقر فيها لاقامة طويلة او قصيرة

Akhawia.net

او دائمة) .

ترى هل يبقى هناك لانه لا يريد ان يواجه المشاكل التي يعيشها الفنان في بلادنا وابرزها افتقاره الى حرية الفكر بمعناها الحق ، وتحت ظل اكثر الحكومات التقدمية وغير التقدمية ؟ . ام تراه لا يعود بعد ان صار اسير الغنى الثقافي والحياة الفنية الرائعة في لندن ، وهل الفن في لندن مثل الميدوزا كل من ينظر اليها يستحيل الى تمثال من الحجر لا يغادر ارضها ابدا ؟

لا ادري . كل ما ادريه هو ان الفنان في الغربة ـ وفي لندن بالذات ـ يتحرر من كثير من الدوامات الجانبية واجواء المهاترات التي يعيشها الانسان في بلادنا . . . يبتعد مثلا عن جو الالحاح عليه بالنشر (الطيب صالح لم ينشر حتى الآن سوى كتابين ولو كان في بلدنا لارهقناه بملاحقته : لماذا لم تنشر هذا العام كتابا ؟ ، يريدون هنا من الفنان كتابا في كل شهر وربما كل اسبوع ليجددوا له المبايعة !) . ويبتعد ايضا عن الجو السياسي الذي ما يزال ينظر الى الفنان على انه اداة سياسية مسخرة لكتابة النشرات الحزبية ، ويجبرونه على كتابة الشعارات تحت سوط اتهامهم له بعدم الالتزام . . . هذه كلها مؤثرات يتخلص الفنان منها نهائيا في لندن ، ويجد الفرصة ليغوص داخل ذاته وليقول فقط ما يرغب في قوله وليذهب كل شيء الى الجحيم ـ الا صدقه ـ .

وبعد ،

فان لندن بقسوتها وشراستها ، وغربة الانسان فيها ، وبغناها الفني والفكري ، تقتل الفنان العربي او تعيد خلقه . . .

ولكن الفنان الاصيل هو طائر الفينيق الذي كلما احترق ونشر رائحة العنبر اعيد خلقه ليحترق من جديد . . . وليستمد من احتراقه بعثا جديدا وحياة جديدة . . . ويعود من الغربة وقد بعث من جديد .

Akhawia.net

روما ٢/ ٧/ ٧١

ممنوع الكتابة على الجماجم !! . .

اتراه كان الحقد هو الذي جعل تلك المرأة تبعث بي الى نادي الموت الجهنمي هذا ، لأقضي يومي الاول في روما مع ٤٠٠٠ هيكل عظمي بشري ولافتات مكتوب عليها : ممنوع الكتابة على الجماجم ؟ . . . ام تراه كان اعجابا فنيا خالصا من جانبها بهذا المتحف المرعب ؟ . . .

وفي الطائرة ، وانا في طريقي من لندن الى روما ، كانت سعادة داخلية تتفجر في اعماقي كعادتي كلما كنت مقدمة على اكتشاف شيء جديد . مدينة جديدة . انسان جديد . فتح صندوق مغلق . فتح رسالة مجهولة المصدر .

ولعل سعادتي لم تكن سراً ، ولعلي كنت ابدو كتمثال شفاف اشتعل في داخله فجأة مصباح قوي ، فتوهج دفئا وحياة ، والا ، فلماذا كانت تلك المرأة التي يحتلها خريف اعوامها الستين تحدق في وجهي باستنكار مغتاظ ؟ . . .

سألتني بحقد امرأة تشتهي الحياة ولم تجرؤ على ان تحيا مرة : هل هي زيارتك الاولى لروما حتى تبدي سعيدة هكذا ؟ . . .

قلت لها : تقريبا . هل هنالك مكان معين تنصحينني بمشاهدته ؟

ودون تردد ، اخرجت ورقة وكتبت عليها عنوان كنيسة اسمها «القديسة مريم الحامل » وقالت : اذهبي اليها غدا صباحا . انت بحاجة الى مشاهدتها قبل اي شيء آخر في هذا العالم . وبينما كانت تخط العنوان ، التمع في عينيها بريق شرس وغامض ، كما لو كانت توقع صك الحكم باعدامي .

وكالمنومة مغناطيسيا وجدتني اسارع في اليوم التالي الى العنوان الذي سطرته تلك السيدة بخط راجف كخط الساحرات . وفوجئت حين وجدت نفسي في كنيسة صغيرة . صحنها مقفر الا من الثريات الذهبية ، والقديس ميشيل يسحق في صمت رأس تنين الشر داخل احدى اللوحات . كانت تبدو مثل اية كنيسة اخرى نصف متواضعة . اقتربت من راهب كبوشي لاستوضحه : هل في هذه الكنيسة شيء خاص ؟ يبدو انه اعتاد السؤال ، فقد كان واضحا انه لا يفهم حرفاً واحداً من اللغة الانكليزية ، ولكنه اشار بأصبعه الى

Akhawia.net

درج صغير يقود الى قبو تحت الارض .

وهبطت الدرجات ووجدت نفسي في اغرب مكان من هذا العالم . كانت هنالك اربع غرف ، جدرانها ومحاريبها ونقوشها وتماثيلها وصلبانها وكل ما فيها مصنوع من مادة لا تخطر ببال : من عظام الاموات وجماجمهم . . . من اقفاصهم الصدرية واكتافهم وسواعدهم وامشاطهم العظمية . . . كل قطعة عظم في جسد الانسان وجدت فنانا يستعملها كمادة خام (بدلا من الاحجار او الفيسفساء او الرخام او الاسمنت !) ويصنع منها حتى تماثيل بل وثريات تتدلى من السقف . وقفت اتأمل في هلع هذا المشهد : ثريا تتدلى من السقف بسلاسل وتتألف من مجموعة من عظام الساق على شكل حزمة ! . . . تمثال ملاك ، جسده جمجمة وجناحاه عظما الكتف ! . . . هنالك سرير مصنوع من العظام ، وامامه هيكل عظمي لصاحب السرير وقد ارتدى قماشا من الخيش ! . . . في ارض الغرفة تراب جيء به من فلسطين ، الارض المقدسة .

شهقت سائحة اميركية وبدا عليها انها تتحفز لوصلة من الاغماء ، وعريسها الذي امسك بها بدا اكثر صفرة منها كأنه مات لتوه . وخيل الي ان خفاشا لا يرى هو الموت يطير فوق رؤوسنا ويحوم حاملا منجله التقليدي متوعداً . . .

ركعت على الارض امرأة وبدأت ترتجف وتصلي . اما انا فقد انجلت عني تماما الصدمة الاولى التي يحس بها الانسان امام الموت المتجسد في مقبرة او ساحة حرب .

ان النظرة الاولى الى هذا المكان ينجم عنها حس اكيد بالخوف المشوب بالقرف (بسبب رائحة عظام الـ ٤٠٠٠ راهب الذين نبشت قبورهم وجيء بعظامهم لتكون مادة لبناء هذا الهيكل العجيب) . . . خوف يشبه خوف السندباد حين وجد نفسه في جزيرة الجماجم . . . لكنني سرعان ما الفت المكان حولي ، وتخدرت اعصابي الشمية ، وبدأت ارى في تلك الجماجم والعظام رموزا لقضايا طالما هربنا من مواجهتها . . . وتذكرت ما كتبه سارتر حينما شاهد هذه الكنيسة للمرة الاولى واسماها « قبو الكبوشين » . . . كتب يقول بغضب :

اتساءل عن السبب الذي دفع بالكبوشيين الى تحطيم دورة الازوت والى صيانة هذه المنتجات العضوية من الانحلال ؟ ترى اكانوا يريدون ان يبينوا ان كل شيء يتغنى بمجد الله ؟ ليس هو الله الذي نجده في هذه المعابد ، انما نجد صورة ناد جهنمي : استغلال الميت من قبل الميت . . . ليس من المسيحية في شيء اللعب بعظام الاموات على هذه الصورة . اغتصاب القبور . السادية . نبش الجثث : حقا انه لانتهاك فاضح

Akhawia.net

للقدسيات . ـ عن فرانس اوبسرفاتور ـ العدد ١١٥ ـ ترجمة جورج طرابيشي) . . .

ترى هل كان سارتر غاضبا امام هذا المشهد غيرة منه على (المقدسات) التي لا يؤمن هو اصلا بانها مقدسات ما دام يؤمن بان الموت هو نهاية كل شيء ؟ . . . ام تراه كان غاضبا لان قبو الكبوشيين هذا يضعه امام الموت ويذكره به كما لا يمكن لاي شيء آخر في العالم ان يذكره به ؟ تراه يرفض حتى ان يواجه ذاته بهذا الخوف ، فيفلسفه ، ويحوله الى خطبة للدفاع عن جثث الذين نبشت قبورهم (وهو الذي لم يحزن للاحياء الفلسطينيين الذين هدمت بيوتهم ووقف منهم موقفا شبه عدواني عام ١٩٦٧) ؟ . لا ادري . . . كل ما ادريه هو انني لم اشعر بأي خوف في هذا المكان . . . بعد عدة دقائق شعرت بما يشبه الالفة الحزينة ـ كأنني ولد ضال اعادوه الى والده الشرعي الذي لا يعرفه والذي يدعى الموت . . . كم هو ذكاء ان تبنى كنيسة من عظام الموتى ، اليس الموت والمجهول وبقية القوى التي يقف الانسان امامها عاجزاً وضعيفاً هي التي دفعت به الى اكتشاف الله في ذاته ؟ . . . اليس ضعف الانسان وعجزه امام الموت ووقفته الذليلة امام اسرار ما وراء الموت من الدوافع الانانية الاساسية التي تجعله يتمسك بفكرة الله ؟ . . .

ولكن ذلك المكان جعلني اتمسك بفكرة الحياة . . . وانا اجيل الطرف في ما حولي ، وكل ما حولي عليه بصمات الموت ورواياته ، احسست اي كنز عظيم املك في هذه اللحظة : كنز اسمه الحياة . . . وبدلا من ان اكتئب احسست بأنه ليس هناك وقت لكآبة فالحياة جميلة بقدر ما هي هشة وسريعة الانكسار . . . وما اراه امامي سيجيء مهما فعلت . . . لن تبعد منجله عني اية كآبة او خوف او هلع . . .

فلأحيا . . .

وغادرت القبو وكلي شهية الى الحياة !

وتذكرت تلك المرأة التي ارسلت بي الى هذا المكان ، وتذكرت حقدها على فرحي المجاني بالوجود . . . لقد بعثت بي الى كهف الموت لاحزن ولاكتئب ولاصير مثلها ومثل كثيرين سواها : صفراء حاقدة ومسمومة وجبانة جبن امرأة تشتهي ان تغتصب بالقوة لانها لا تريد ان تحمل مسؤ ولية استمتاعها ! . . .

الى هذه السيدة اينما كانت جزيل شكري . . . فقد جعلتني التهم لحظات عمري في روما التهاماً ، واعيش كلا منها وكأنها آخر لحظاتي . . .

وانا اغادر تلك الكنيسة العجيبة مددت يدي الى جيبي لاخرج منها الورقة التي كتبت فيها العنوان بخطها ، ولم اجدها . . . كانت قد اختفت ! . . . بحثت عنها في

Akhawia.net

حقيبتي وبقية جيوبي ولم اجدها ! . . .

ولكنني لم اسمح لنفسي بالاعتقاد ان هذه المرأة كانت شبحا يدعوني لزيارته ، (اذ ربما كانت عظامها من بعض جدران وسقف تلك الكنيسة العجيبة) ! . . .

متحف الهذيان ام الفن الحديث

« بيكاسو لو رأى هذه الكنيسة لذهل امامها ولاحبها . والحق ان هذه الرائعة الفنية تكمن قيمتها في مادتها اكثر مما تكمن في شكلها ـ سارتر في المقال نفسه » . . . وهذا انطباع لا اشك في انه يراود كل من رآها . . . انها دونما شك تحفة في الفن السوريالي ، و (تفتح النفس) على رؤ ية الفن الحديث . . . انها رغم انتمائها الى القرن التاسع عشر ، حديثة ومعاصرة الى حد جعلني اتوق الى رؤ ية وسائل تعبير حديثة في الفن . . . وسائل للتعبير عبر واسطة مبتكرة غير الصخر الذي منه تماثيل شوارع روما وقصورها ومتاحفها ، وغير الرسوم بالريشة والاصباغ . . . وهكذا كان لا بد من ان اتجه الى شارع « فالي جيليا » حيث متحف الفن الحديث . . .

ومتحف الفن الحديث هو بحد ذاته كبناء وكطريقة في العرض ، تحفة من تحف الفن الحديث . . . الاضاءة مدهشة ، وكل ما فيه مرتب وفقا لترتيب زمني ، واقدم ما فيه لا يرجع الى اكثر من نصف قرن ، وهو فعلاً يضم احدث الصيحات الانسانية في الفن . . . ولكن اكثر احدث الصيحات في الفن هي للاسف هذيان مشوش رافض وليس صيحة واضحة الاسباب والمطالب والاهداف . وقبل ان ابدو وكأنني اتحامل على الفن الحديث ، اسارع لاروي اية (اهوال) لقيت في هذا المتحف .

امام مدخل المتحف كانت هنالك لافتة قماشية طويلة تحمل اسم : « مانزوني » وتشير الى انه يحتل صالة المعارض بالمتحف حيث يعرض احتفالا بذكرى وفاته الرابعة . . .

وسألت الدليل : من هو مانزوني ؟ . فصعق ، ونظر الي بدهشة واستنكار كما لو كنت قد اكلت امامه طفلاً نيئاً : كيف لا تعرفين مانزوني ؟ . . . وجرني لأشتري كراسا عن « مانزوني » . وهنا ازددت خجلاً لجهلي ، وسارعت بالدخول الى قاعة العرض وكلي خشوع ! الكراس يقول ان الفنان مانزوني مات في الثلاثين من عمره ، وانه من رواد الفن الحديث ، وانه اثار طيلة حياته الفنية القصيرة ضجة في اوروبا ، وان من تلامذته روبرت روشونبرغ الذي فاز بجائزة فينيا للفنون عام ١٩٦٤ . وقال الناقد درنا كوريل ان « مانزوني » هو الاول في التاريخ الذي اكتشف جمال الانسجة والوبر ، وانه . .

Akhawia.net

وانه . . .

ولم اعد استطيع الانتظار فاغلقت الكراس وسارعت لاشاهد المعروضات بنفسي ، وليتني ما فعلت ! . . . ابرز تحف (مانزوني) واهم لوحاته وتماثيله هي ما يلي : عشر بيضات دجاج ، على كل بيضة بصمة اصبع هي اصبع المبجل مانزوني بعد ان غمسها بالاصباغ . علب كونسروة تم تعليبها واغلاقها في ايار ١٩٦١ ، والكتابة عليها تشير ايضا الى وزن محتوياتها : ٣٠ غرام . ومحتوياتها : (روث) الفنان ! ـ عذراً من قارئي ، ولكن هذا فعلا ما وجدت في المتحف الحديث ! ـ . والعلب مرقمة ، بيع اكثرها والمتحف يفاخر بأنه استطاع الاحتفاظ بعينة منها ! . بل هنالك على الجدار خلف علب (روث) الفنان صورة كبيرة بالحجم الطبيعي له وهو في حمام بيته اثناء (عملية الخلق) تلك ! . . .

اما لوحاته التي تعتبر فتحا في عالم الاكتشافات الفنية فهي : عشر ضمادات من الشاش الملفوف وقد الصق بعضها الى الآخر في قعر علبة . ولوحة اخرى هي عبارة عن طرد بريدي مختوم بالشمع الاحمر وصل للفنان ولم يفض اختامه وانما اعتبره لوحة او تمثالاً والله اعلم ! . . وهنالك ايضا مجموعة من قطع (الموكيت) ذات الوبر الطويل ، مثل العينات التي نجدها لدى اي بائع من باعة السجاد والموكيت ، والمفروض ان نعتبرها لوحات ، بل وآثاراً فنية خالدة . اما تمثاله الخالد ، فهو قاعدة تمثال ليس عليها اي تمثال ، وانما عليها نعلا حذاء لامرأة (المفروض ان التمثال كان حياً حتى انه خلع حذاءه وغادر قاعدته مخلفا لنا الحذاء ! . . . وصور الفنان التي تغطي جدران قاعة العرض والتي هي بالحجم الطبيعي ومن المفروض انها تمثله اثناء(خلقه) لروائعه ، ترينا فتاة جميلة عارية تماماً واقفة على قاعدة التمثال والمرحوم مانزوني يوقع امضاءه على (مكان ما) في جسدها ! . . . اليس من المفروض ان يوقع الفنان على انتاجه ؟ . . .

وبعض روائع هذا الفنان حذاء عتيق جدا وقع عليه مانزوني ، والى جانبه ورقة شهادة ابراء كتب عليها :

انا الفنان العظيم مانزوني وقعت على هذا الحذاء ولذا فهو قطعة من الفن (اوتنتيك) واصيلة بشهادتي !

هنالك ايضا سنانير لصيد السمك ومسامير وحطام سيارات وكل ما نجده عادة في درج جداتنا العتيق من مختلف البقايا و (الكراكيب) . . . والمفروض انها لوحات . . . هنالك اقمشة بيضاء للوحات لم يرسم عليها شيئاً لكنه عرضها على انها لوحات . وهنالك ايضا لوحة فيها صور حيوانات منوية لها اجساد رجال الفضاء (وهي وحدها لا بأس بها في

Akhawia.net

هذا المعرض) والى جانبها لوحة هي عبارة عن كتلة من القطن العادي ، ولوحة اخرى تتألف من عدة بنسات عتيقة .

والجدير بالذكر ان مانزوني باع من صرعاته هذه الكثير وجنى شهرة في اوروبا بعيدة المدى ، ومن الواضح انه انسان ساخر وذكي ، ولكن رفضه تجسد في اطار الصرعة وعجز عن البلوغ الى مرتبة الفن الذي يبقى .

بعد قاعة عرض « مانزوني » لم يعد في متحف الفن الحديث ما يمكنه ان يدهشني .

كانت هنالك صفائح رقيقة من البلاستيك معلقة في الفضاء بخيوط من المفروض انها لوحة ، وكانت هنالك صفائح من التوتياء تصير (لوحة) اذا نفخت عليها اذ انها حينما تتحرك ، تتراقص الاضواء عليها وتتلاحق الالتماعات . . . كانت هنالك مرآة بعيدة في آخر دهليز طويل ترى فيها نفسك قزماً والمفروض انك في هذه الحالة ـ تمثل اللوحة ! . . هنالك غرفة مظلمة داخل جدرانها احواض مضيئة مثل احواض الاكواريوم في حدائق الحيوانات وداخل هذه الواجهات المضيئة تتحرك نقاط مضيئة ، وتتراكض وتضيء وتنطفيء ، والمفروض ان كلا منها لوحة ، وهنالك اخيرا غرفة المرايا التي من المفروض انها فن حديث ، وهي غرفة من الدهاليز يصرخ اكثر من يدخل اليها ـ الا اذا كانت اعصابه في حالة تحسد عليها ـ فهي غرفة معتمة ، ما تكاد تدخل اليها حتى يغلق خلفك الباب . ويفتح امامك باب . وتجد نفسك في سلسلة من الدهاليز ، وسقف الدهاليز ، وابوابها وجدرانها من المرايا . وتتحرك وتحاول ان تسير فتضيع ، ولا تميز بين الباب المفتوح حقا ، وانعكاسه بالمرآة ، وتبدأ بالتعثر والاصطدام بالجدران المرايا ، ويتم ذلك كله بينما اضواء حمراء وزرقاء معتمة تتلاحق تضيء وتنطفيء ثم تنصب عليك اضاءة مخططة رمادية وبنية فبنفسجية وصفراء ، وكل هذا يتم ، بينما انت لا تسمع سوى صوت نواح الآلات وازيز الحديد الذي يفتحَ الابواب ويغلقها والمفاتيح التي تبدل اوتوماتيكيا الاضاءة . . . وسقف المكان واطيء ، وجدرانه خانقة ، وباختصار تشعر داخلها بأنك تعيش كابوسا لا نهاية له ، هو مثل كابوس الحياة ، ووجهك يطالعك في عشرات المرايا فتكاد لا تعرف وجهك الحقيقي من وجهك الزائف ، وتجد نفسك اكثر من شخص واحد تماما كما انت في حياتك المعقدة في مجتمعاتنا المعاصرة المعقدة . . . هذه الغرفة هي دونما شك اختصار لما يحسه الانسان من عذاب في التكيف مع مجتمعاتنا غير العادلة ، والحياة في اجواء الحياة المعاصرة المزيفة والمخنوقة . . . وحينما يدخل اثنان الى الغرفة تختلط عليهما الامور وتزداد صعوبة ويخيل اليهما انهما سيصطدمان كيفما تحركا لان انعكاساتهما في المرايا تزيد في حيرتهما

Akhawia.net

وتيههما ويضيق المكان بهما فيشعر كل بانه لا مكان له ولزميله في آن واحد . . . تلك هي حياتنا المعاصرة بكل معاني الكلمة. لا افق وانما دهاليز. لا وجه واحداً وانما عشرات الوجوه وعشرات الادوار حتى ليضيع الانسان ذاته الحقيقية ووجهه الحقيقي . ووسط ضجيج الالات يتعذر الحوار ، ويسقط الانسان في دوار من الضيق الشديد وبعضهم يصرخ . . . ويقال ان كثيرين اصيبوا بانهيار عصبي في هذه الغرفة ، وربما كان ذلك تفسير الحارس الذي يشبه ممرضي المستشفيات العقلية والواقف امام باب الغرفة ، والمقعد الكبير الشبيه بالفراش المجاور لها ! . . . هذه الغرفة تؤ رخ دونما شك لكابوس القرن العشرين وهي في نظري (فن) . انها ليست لوحة وليست تمثالاً ولكنها (فن حديث) بكل معاني الكلمة لانها سخرت الاختراعات العلمية الحديثة كمادة خام ، واستطاعت عبرها ان تنقل للإنسان ، لاي انسان ، الشعور بالضيق والحزن والضياع والغثيان والوحشة . . . شعور جيل القرن العشرين . . . والغرفة من تصميم الفنان دافيد بورياني .

اذن انا لست ضد الفن الحديث لمجرد انه (حديث) . في رأيي ان هنالك (فنا) او (لا فن) ، وليس هنالك (فن قديم) و (فن حديث) من هذه الزاوية . فكل (حديث) سيصير قديما ، وما هو اليوم (فن قديم كلاسيكي) كان يوم ظهوره فنا حديثا . . . وانا ضد التصفيق لشيء ما لمجرد انه حديث او التصفير لاخر لمجرد انه قديم . . . ولنعد الآن الى حديث المتحف . . .

هنالك ايضا قماش لوحات ابيض وبدل من ان يرسم على القماش شيء ما نجد فيه طعنات سكاكين وشقوقاً احدثتها خناجر .

نجد ايضا هياكل سيارات كاملة وقد حطمها اصطدام ما . نجد اشكالا بلاستيكية عجيبة غريبة وقد اشاح حارس المتحف بوجهه عنها الى النافذة ووقف يتأمل عبرها السماء الزرقاء وازهار الحديقة . . .

واذا استثنينا من المعرض بعض لوحات نادرة لفان كوغ ومودلياني وتماثيل جياكوميتي وقليلين غيرهم فاننا نخرج من متحف الفن الحديث في روما بانطباع عام حزين . . . نشعر بان الفنان الحديث هو انسان ساخر ، متألم ، لا يؤمن بجدوى اي شيء ، ولا يجد الخلاص في اي شيء حتى في الفن ذاته ، انه مثل اخر انسان في مدينة احالتها القنبلة الهيدروجينية الى هشيم وبقي فيها وحده مع ذكريات حلوة وواقع من الكوابيس والآلام . . . ربما لذلك نجد الفنان المعاصر شرسا في رفضه الى حد

Akhawia.net

الاسفاف . . . فما نزوني الذي وضع (روثه) في علب مكتوب عليها «داخل هذه العلبة تجد الـ . . . المعبأة وهي طازجة» . . . مكتوبة بثلاث لغات ، انما يحاول تحقير العالم حوله والسخرية منه تماماً كما يحاول ذلك اولئك الذين يخرجون على المسرح عراة تماماً (في اوه كالكوتا مثلا) ، ولكن وسيلتهم الى الرفض هزيلة وطفولية وغير واعية وبالتالي ليست من نوع الفن الذي يخلد . . .

هذا الاحساس ازداد لدي حينما شاهدت ما انتجه فنانو روما وغير روما منذ آلاف السنين قبل الميلاد حتى اواخر القرن السابق . . .

في « البانتيون » . . . في متاحف الفاتيكان . . . في الكنائس . . . في الشوارع والساحات . . . في قصور البورغيزي وبورجيا وغيرها . . . في كل مكان نجد ان الفنان القديم كان يؤمن بشيء ما . . . كانت لوحاته تمجد الله او تمجد الانسان او تمجد الفنان . . . اما ما شاهدته في متحف الفن الحديث فقد كان يمجد الدمار . . . ويسخر من الاله ومن الانسان ومن الفنان . . . هنالك مثلاً تمثال « دافيد » المشهور الذي نحته اكثر من فنان قديم وكان في نسخهم عملاقاً جميلاً ، نجده في متحف الفن الحديث وقد نحته فنان معاصر هو ميركو باسلديللا ، وجعل منه قزماً كاريكاتوري الهيئة مصابا بالعرج والتواء الساق وفي يده سيف من الكرتون ! والفرق شاسع بينه وبين (دافيد) مايكل انجلو الذي شاهدته في فلورنسا وذهلت امام عظمته وشموخه .

وكمثال آخر ، نجد تمثال افروديت في متحف الفن الحديث كما نحتها « لونسلو ليوناردي » امرأة طولها اقل من متر ، صلعاء ، قبيحة ، وشاذة ايضا ! . . . بينما نجد افروديت كما نحتها برنيني (معروضة في قصر البورغيزي) عملاقة جميلة كل ما فيها ينطق بالسحر والجمال والقوة . . .

والامثلة اكثر من ان تحصى . . . وليست صدفة ان يعرض فنان ما حطام سيارة معجونة على انها تمثاله المفضل . . . مما لا شك فيه ان الفنان المعاصر يمر اليوم بمرحلة انتقالية ، قد لا يبدع خلالها شيئاً يبقى ، لكنه يمهد لظهور فنانين جدد لهم صوت جديد واضح ومفهوم ورسالة تعرف ماذا تريد ان تقول . . . متى يظهر هذا الجيل ؟ . . . فلننتظر او فلينتظر احفادنا . . .

هيبية على الطريقة الايطالية

بينما نجد امبراطورية الهيبيين في اميركا وبريطانيا تنحدر الى هوة التخدير والجريمة

Akhawia.net

وتحضير الارواح نجد موجة من (الرينيسانس) الهيبية تتفجر في روما . . . وتتمركز في نقطتين رئيسيتين : في ساحة في قلب روما القديمة اسمها سانتا ماريا دي تراستيفري ، وارضها مرصوفة باحجار رومانية وتتوسطها بركة مياه وتماثيل جميلة وممنوع مرور السيارات بها وتحيط بالساحة مجموعة من مقاهي الارصفة ، والمركز الثاني في مكان آخر مشهور سياحيا واسمه « الدرج الاسباني » وقد صممه الفنان برنيني وهو ايضا من اجمل مواقع روما . . .

وفي ساحة سانتا ماريا دي تراستيفري ، وعلى درجات السلم الاسبانية ، نجد جيلاً جديداً من الهيبيين الابرياء يترعرع . . . ما زالوا مثل هيبيز لندن عام ١٩٦٤ ، فهم ابرياء ، بسطاء ، اقل قذارة من المعتاد ، وشعرهم نصف طويل ولحاهم المرسلة تحيط بها ابتسامة شبه خجول . . . ولا تشم رائحة المخدرات في سجائرهم ولا ترى في وجوههم الحلوة المشرقة اية اثار لتعاطي الماريوانا وال . اس . دي .

انهم ما زالوا في مرحلة الهيبية الحلوة . هيبية ما قبل السقوط. هيبية الرفض الجميل البريء قبل ان يقع فريسة في انياب الاباحية التخديرية . .

ويبدأ اليوم في روما عرض مسرحية (هير) ، وينتظر ان تتطور الحركة الهيبية بعد هذه (الدورة التدريبية) تطورا حاسما ! . . . ونجد ايضا ملصقات على الجدران تقول : « نون فياتشيا لاجيرا . . . فياتشو لاموري » اي (لا تصنعوا الحرب ، اصنعوا الحب) . ولكن هيبيي بلدهم مثل هيبيي بلدنا، ما زالوا واقعين تحت سيطرة المؤسسات القوية من كنسية ودينية وعائلية . . فايطاليا رغم انها جزء من قارة اوروبا ، الا انها تنتمي اجتماعيا وحضاريا الى دول حوض البحر المتوسط اكثر مما تنتمي الى اوروبا . وقد يشعر الاوروبي في روما بالغربة لكن العربي سيشعر بانه في بلاده ، خصوصا حينما يتشاجر الناس في الشوارع بصوت عال دونما سبب او يلاطفونه مجانا او يتطفلون عليه ويدسون بأنوفهم في شؤونه وكل ذلك بطريقة ذكية محببة . . . والسائح الاميركي في روما هو الزوج المخدوع ، يبيعونه باسعار خيالية اساور من المفروض انها تعود الى عصر تعذيب المسيحيين وحتى قطعا خشبية لا ترى بالعين المجردة من المفروض انها من صليب المسيح . . . والعجيب ان السائح يخرج دائما وقد فرغت جيوبه من النقود وعلى وجهه ابتسامة رضى عميقة بالصفقة ! . . . الشخصية الايطالية قريبة جدا من الشخصية العربية . . . يتحدثون بصوت عال ويخالفون قواعد المرور ويتشاجرون في الشارع ويرضون بسرعة

Akhawia.net

ويحبون الحياة ويتباهون (بالشطارة) ويغازلون الفتيات في المقاهي ، وحتى رجل البوليس لديهم يتخلى عن صف طويل من السيارات ذات الزمامير المحتجة اكراما لشورت فتاة جميلة تعبر الشارع ، وقد يرميها بكلمة غزل من خلف صفارته . انه شعب مرح ، لا ينام ، في الليل خيل الي ان في روما كل ليلة كرنفالا من طقوس الرقص في الشوارع والغناء وعرقلة السير واصطدام السيارات حيث يتحول الغناء الى وصلات من الشتائم بين المتصادمين وسرعان ما تمتد الرؤوس من النوافذ ويستحيل الشارع الى ساحة حرب ويتصايح الجميع في آن واحد وقبل ان يسارع غريب مثلي لطلب البوليس يعم السكون فجأة ويختفي الجميع من الشارع ! . . .

روما ، وفنانونا

كنوز ايطاليا الفنية لا يستطيع الانسان مشاهدتها في اقل من عام ، الا اذا تبنى طريقة السياح الاميركان الذين يحملون الكاميرا ويتصورون على ابواب المتاحف ، على كل باب صورة ، وينتهي الامر ! . . .

ان قاعة واحدة من قاعات الفاتيكان هي السيستيناشابل التي ابدع رسمها مايكل انجلو تحتاج وحدها الى ما يقارب الشهر من الاستلقاء على الارض وتأمل رسوم السقف وحده . . . روما . . . نابولي . . . فينيسيا . . . كلها تضم كنوزاً رائعة ، لا للمشاهير امثال ليوناردو دافنتشي وانجلو ورفاييل فحسب ، بل لمئات اخرين من المبدعين المجهولين وغير المجهولين .

وليس غريبا ان تكون ايطاليا كعبة الفنانين يأتون اليها من جميع انحاء العالم . . . وبين كبار فنانينا الذين عاشوا ودرسوا في روما فترات طالت او قصرت : رفيق شرف . عارف الريس . سيتا مانوكيان . منير نجم . ناديا صيقلي . وكثيرون سواهم ممن لا تحضرني اسماؤهم في هذه اللحظة . . .

وداعا يا روما

تجولت طويلا في حدائق البورغيزي ، ووقفت امام تمثالي بايرون وشكسبير وغيرهما من عباقرة الادب في انحاء الارض قاطبة ، وبينهم تمثال لاحمد شوقي . وسقط المساء فوق الحديقة والشوارع وانا اسير . . . ووجدت نفسي على مرتفع يطل على روما باسرها ، والغروب وقد بدأ يغرس راياته فيها . . . من بعيد تبدو روما كما تبدو جميع المدن في الليل ومن بعيد . . . جميلة وبريئة وساحرة . . . ولكن روما هي المدينة الوحيدة في العالم التي تبدو في النهار اجمل مما هي في الليل . . .

Akhawia.net

في الليل اخاف من روما ، المدينة التي يقطنها عدد من التماثيل ربما يفوق عدد سكانها . . . في الليل ، يخيل الي ان تماثيل روما كلها تعود الى الحياة . .

وسرت نصف مسحورة ، ونصف خائفة . . . ومررت بتمثال ، وخيل الي انه يهمس باسمي . . . وينادني . . . وتذكرت كلمات سارتر : يجب ان يكون رأس الانسان صلبا كي يميز في روما بين الدين والسحر . ووجدتني اتمتم : وكي يميز بين الفن والسحر ! . . .

Akhawia.net

بغداد ٤/ ٢/ ٧٢

منتهى الرعاية او قصر النهاية !

اغمض عيني واتذكر بارهاق لذيذ كل ما كان . . .

واترك ابجديتي تهذي . . . وتهذي . . .

فأنا عائدة من العراق . . . ولا يمكن لفضولي مثلي ، يقضي ستة ايام فقط في زيارته الاولى للعراق ـ ويريد خلالها ان يرى كل شيء ويفهم كل شيء وبلا اقنعة ! ـ الا ان يعود مثلي . . . منهكا . . . كمن قضى سبعة ايام يحاول ان يغرف البحر في صدفة . . . او يلخص سيمفونية الرياح العاصفة في اغنية للاطفال ، او تحقيق صحافي ! . . .

ستة ايام ، وانا زوبعة من الرغبة في الاكتشاف والمعرفة ، زوبعة طارت الى فنانيهم وكتابهم . (فشهروا) علي حبهم (وأغمدوه) في قلبي (وسحلوني) برعايتهم وحملوني وركضوا بي ليل نهار في اسواق بغداد ومتاحفها ومعارضها ومسارحها وشوارعها ، ثم طاروا بي في ليلها وتاريخها وموسيقاها واشعارها . . .

اني متعبة . . . متعبة .

فنحن لم نركب على بساط السندباد ونطر به في ليل مزروع بالنجوم والغيوم الملونة والترانيم الاسطورية ، ولكننا كنا نركض في ارض حقيقية فيها اناس حقيقيون يكافحون وحدثوني طويلا عن اناس مزقوا باسنانهم بساط السندباد . . . وكسروا مصباح علاء الدين باظافرهم والمارد تحرر ولم يعد يقول : لبيك ، عبدك بين يديك . . . قالوا لي ان المارد يحاول اليوم ان يستعيد هويته الحقيقية وحنجرته الحقيقية وصوته ولغته وانتصاره . . .

ورأيت ان بغداد لم تعد مدينة الف ليلة وليلة كما تسميها الكراسات الدعائية . صارت مدينة ما بعد الف ليلة وليلة . . . مدينة الف ليلة وليلتين على الاقل . . . (اقترح تغيير اسمها فوراً في الكراسات الدعائية الرسمية وجعلها مدينة ما بعد الف ليلة وليلة !) .

ستة ايام في بغداد . لم اذهب اليها بدعوة رسمية ، بل بدعوة زوجية . رافقت زوجي اليها (لأستجم) ! . . . وكان استجمامها عدت منه وانا احوج ما اكون للاستجمام ! عدت مثقلة بعشرات الكتب والمسرحيات ودواوين الاشعار ، عشرات الوجوه والاصوات والالوان والروائح . . . عشرات لحظات النقاش مع الرفاق ، والغليان . . . عشرات

Akhawia.net

القضايا التي نُبشت والتي تذرو طبيعة الحياة في بيروت احيانا رماد الخدر على جمرها ، ها هي تبعث حية بشكل معايشة يومية . . .

ان ما يطرح في العراق من قضايا فكرية وادبية هو من بعض ما يدور في اعماق كل مواطن عربي . . . لكن ارتسامه على شاشة الفرد العراقي هو اشد حدة وعنفاً . . .

قلت لصديق عراقي شاعر غمرني بمحبته ورفقته : ما سر هذه (الحدية) في الطبع العراقي بوجه عام ؟ . . . لديكم يلقى الانسان (منتهى الرعاية) او (قصر النهاية) ودون وجود (منطقة وسطى ما بين الجنة والنار) . . .

رد علي برقة قاطعة تماماً كرقة حد الشفرة : سيدتي . هناك اعتبارات كثيرة من تاريخية وغيرها تجعل منا ما ترين . لنبدأ بالمناخ (الحدي) لدينا مثلاً . . . درجة الحرارة في الشتاء تهبط الى ما تحت الصفر ، وفي الصيف تعلو الى ما فوق الخمسين ، فكيف تريدين ان نكون ؟ . . .

وتابع بحنان شرس : لدي الآن انا سؤال اطرحه : كيف جرؤت على زيارة العراق ؟ . . .

وقلت له : ولماذا احرم من تسعة ملايين عراقي لمجرد ان خلافا فكريا وقع بيني وبين اقل من تسعة من رفاق القلم ؟ وصحيح انه دار بيننا نقاش لا يخلو من التوتر والحدة ، ولكن من قال ان الخلاف في الرأي « يفسد للود قضية » خصوصا اننا نتحدث من ارضية واحدة وموقع واحد . ؟ . . . ان الخلاف في الرأي يقود الى مزيد من النقاش والى مزيد من الخلاف في الرأي او الى الالتقاء في الرأي . وعلى اية حال فان نقاشنا حول مفهوم كل منا (لحرية الفكر) وفضائل تلك الحرية او مساوئها لم ينته . وسنتابعه ولكن على (موجة) مختلفة . . . فأنا ان كنت قد استنكفت عن الرد ، فلأن اكثر الردود ـ ولا استثني سوى رد او اثنين ـ قد تعرض لشخصي ـ غير الكريم ـ بالذات ، اكثر مما حمل رداً على القضية الفكرية ـ الكريمة ـ التي كنا نتحدث عنها . . . وهو اسلوب في الحوار الفكري لا اتقنه .

* * *

ان اي عربي لا يستطيع ان يمر بالعراق (ترانزيت) الا اذا كان على درجة يحسد عليها من بلادة الحس . . . فالعراق مرجل يغلي . . . كل ما فيه يغلي بطريقة ما . . . وانا حاولت في ايامي الستة ان ارصد الغليان المبدع في حقول الفن التشكيلي والمسرح والرواية والشعر . . . ولدي الكثير اقوله ، عن القليل الذي استطعت ان اراه في بغداد خلال ستة ايام . . .

Akhawia.net

ولدي الكثير من الحب اقابل به طوفان الحب العراقي الذي التهمني والذي وجدته لدى الرفاق من شعراء ورسامين واذاعيين وصحافيين وكتاب ومسرحيين كما وجدته لدى سائق التاكسي وحارس المتحف وبائع الحلوى وعامل المصعد . . .

وربما كان بالحب وحده يحيا الفنان ، ولكن ليس بالحب وحده يكتب الفنان . . .

لذا ألجأ الى « استراحة المحارب » لاستريح من (الحب) لا من (الحرب) . . . فأنا اريد ان اكتب عن ايامي الستة في العراق بصدق . . . وكل صدق ينبع من قلبي ولا يمر بطريق رأسي ليس صدقاً موضوعياً حيادياً من النوع الذي يرضى قلمي بتسجيله وحمل مسؤ وليته . فالرصاصة التي تطلق لا تسترد ، وكذلك الكلمة . انني ببساطة اريد ان اكتب عن العراق ولا اريد ان اغازل العراق ولا ان اناكفه. اريد ان اصف ما شاهدت دون تصفيق او تصفير. . . ولذا اقول لقارئي، الى لقاء مع العراق في الاسبوع المقبل. . . ريثما اقرأ كل ما حملته من مخطوطات وانظم في رأسي طوفان الوجوه والاصوات والمشاهد والنقاشات . . . واحاول لملمة افكاري ، اركض خلفها وتركض خلفي ، تذكرني بتلك الصورة الشعرية البديعة في اغنية عراقية (اظن ان اسمها نجمة) تتحدث عن شوق العاشق الباحث عن حبه ، بحث امرأة ثكلى تبحث عن طفلها على شواطىء الانهار . . . بحرصها وصدقها ، سأحاول ان الملم كل ما سجلته في ذاكرتي وفي اوراقي طيلة هذه الايام الستة على شطآن الذاكرة . . .

وبعد يا قارئي العزيز . . . هكذا يكتب الانسان حينما يقضي ست ليال بلا نوم . يسقط النوم ! . . .

Akhawia.net

بغداد ١١/ ٢/ ٧٢

العناق بين التراث والعصر !

ليل والطائرة تحوم فوق بغداد .

اراها عبر النافذة ، بيدراً من الاضواء ، جميلة ووديعة ككل المدن حينما تطل عليها في الليل عبر كوة طائرة ، متألقة كما لو غسلتها الدموع . . . تبدأ الطائرة هبوطها ، ويتبدل صوت هدير محركاتها الداخلية ، كذلك يتبدل هدير محركاتي الداخلية ـ ولا اقول قلبي ـ لأنني احس عادة لحظة الوصول الى مدينة جديدة بأنني صرت عنقوداً من القلوب . . . كله يخفق بشراسة متطلعاً الى اكتشاف الجديد . . .

مدينة جديدة لم أطأها من قبل ! . . . ان ذلك رائع بحد ذاته . انها نشوة تفوق نشوة فتح صندوق أزلي مغلق فوق قمة جبل لم تطأه من قبل . . . انها نشوة « بروميثيوس » ولعنته . . .

وما كدت استقر في التاكسي حتى استحال هديري الداخلي المتشوق ، الملتهب فضولا ، الى نغمة واحدة : بغداد من أين أبدأ اكتشافك . . . من اين ابدأ . . . من أين ابدأ . . . والتاكسي يركض بي في شارع مستقيم طويل طويل مزروع بالاضواء المنتظمة الابعاد . . . احسست بالراحة تغمرني . . . فأنا احب الخط المستقيم شارعاً وسلوكاً . . . اكره اللحظات التي يدور فيها التاكسي في زواريب ضيقة معتمة ، واشعر بالحذر والكآبة . . .

وطال الشارع المستقيم ، واغمضت عيني واسترخيت وانا اتساءل : بغداد . . . بغداد . . . من اين ابدأ . . . وحين فتحتها وجدت الجواب منتصبا امامي يسبح في النور الاصفر كما في الاحلام والرؤى . . . كان الجواب هائلاً ، يمتد على قاعدة طولها خمسون متراً . . . وفي الاعلى تماثيل برونزية ضخمة تشكل نصباً لم يسبق لي ان شاهدت آخر بمثل ضخامته في اي بلد عربي معاصر زرته . . . وسألت السائق عنه فقال : انه نصب الحرية . . .

ربما كان الليل وظلاله ، وربما كانت مهارة النحات ، او مزيجا من ذلك كله ،

Akhawia.net

ولكنني شاهدت الرجال البرونزيين يتحركون ، وسمعت صوت تكسير قيود وسلاسل حديدية ، وخيِّل الي ان جميع اشخاص النصب ينطقون بلغة ليست غريبة عني وانني اكاد اتبين اصواتهم . . . وانهم يروون حكاية طويلة ، بل خيِّل اليَّ ان رائحة دم ملايين الشهداء من اجل الحرية في كل زمان ومكان تفوح من النصب مع رائحة البارود وتكاد قطرات منه تنزف على ارض الشارع . . . وكدت اطلب الى السائق ان يتوقف قليلاً امام النصب لأتحاور مع أشخاصه ، ولاشم رائحته وأسمع صوته ؛ (بالنسبة الي ، المنحوتات الجيدة لها رائحة ونبض وحنجرة وصوت) ، ولكنني لم اقل شيئاً لانني لا اريد ان يلقى القبض علي في ليلتي الاولى في العراق بتهمة الجنون ! . . .

حينما علمت في اليوم التالي أن نحات هذا النصب الملفت لانظار كل قادم الى بغداد هو فنان عراقي (المرحوم جواد سليم) دهشت قليلاً ولم أدهش كثيراً . . . فقد سبق لي الالتقاء بنماذج للفن العراقي عبر معارض الفنانين العراقيين التي اقيمت في بيروت اكثر من مرة . . . وسبق لي ان أبديت إعجابي ودهشتي بها شفهيا وعمليا !

وحين ذهبت لارى نصب سليم في النهار لم اصب بخيبة امل كما كنت اتوقع . . . (فالرؤية الليلية للاشياء تضفي عليها دوما سحراً شاعرياً قد تجردها منه الرؤية النهارية العقلانية) . . . ولكن اللقاء مع جواد سليم في ضوء الشمس كان فرحة اكتشاف . ولا بد لي هنا من الاقرار بأن الدراسة القيمة التي اعدها الاستاذ عباس الصراف واسمها (جواد سليم ، من رسالة دكتوراه في النقد الفني) منحتني وجهة نظر جمالية قيمة في فهم تفاصيل (سيمفونية جواد سليم البرونزية الخالدة التي تجسد مراحل الشقاء الانساني . . . وتروي قصة العذاب الدنيوي الذي تتطهر بموجبه الروح الانسانية من اوزارها وتؤدي بمقتضاه ثمن وجودها . وربما كان عناء الانسان هو شرط وجوده ، وشرط سائر اعماله رغبة في الخلاص وتحقيقا للطموح) . . .

وعبر نصب جواد الذي طالعني ليلة وصولي ـ عند منتصف الليل تماماً كما في الاساطير ـ ، استيقظ في صدري ذلك الحب القديم للقليل الذي شاهدته من الفن العراقي في بيروت . . . وقررت ان ابدأ من هنا ، وان اكتشف ما استطيع اكتشافه من الفن التشكيلي المعاصر في العراق خلال اقامتي المحدودة جداً ـ ستة ايام ـ . . . ولم اذهب مباشرة الى متحف الفن الحديث ، وانما قررت ان ابدأ منذ البداية الحقيقية . . . اي من متحف الفن القديم الذي يلخص لي المناخات الحضارية التي تعاقبت على ارض العراق والتي هي دونما شك المادة الخام في لا وعي الفنان العراقي ـ بل وفي وعيه ـ يستلهمها

Akhawia.net

ويرسل جذوره الجديدة فى تربتها القديمة الثرية انسانياً .

وهكذا ، من المتحف العراقي الذي يضم آثار آلاف من السنين الغابرة بدأت ، يرافقني صديق فنان . . . واذا كان المتحف على درجة جيدة من التنظيم والترتيب الزمني وحسن العرض فان ما يذهل حقا هو آثار العراق من الناحية الفنية . . .

امام تماثيل من الحجر وجدت في معابد تل اسمر في منطقة « ديالي » تعود بتاريخها الى ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد وجدتني اتساءل : هل انا في معرض معاصر في أحد ازقة روما ؟ .

وامام تمثال من النحاس وجد في « نينوى » ويعود تاريخه الى الحقبة البابلية تساءلت : ترى هل عاش « جياكوميتي » (الفنان الكبير المعاصر) في « نينوى » آلاف السنين ما قبل الميلادوهل بعث حياً في اوروبا بشخصه الحالي ؟ . وعلى اية حال فاني اميل الى الاعتقاد (بتناسخ الفن) اكثر من الاعتقاد (بتناسخ الارواح) . . .

اما المجوهرات والقلائد من المقبرة الملكية في « اور » (٢٤٥٠ قبل الميلاد) فقد اذهلتني بعقودها (الهيبية جداً) المعاصرة الروح والالوان والاشكال . . .

اما تلك الفخاريات التي تعود بتاريخها الى منتصف واواخر الالف الخامس قبل الميلاد فقد بدت لي الام الشرعية للفخاريات الشعبية ولفن السيراميك الحالي من حيث الشكل والتكوين وحتى الافاريز التزينية فيها . .

ترى هل كان بيكاسو آشورياً ؟ الح عليَّ هذا الهاجس وانا في جناح المنحوتات الاشورية الهائلة الحجم ، امام تمثال لثور مجنح هو نموذج معاصر لما حاول بيكاسو خلقه في لوحاته من حيث (وحدة الرؤ ية) . . . ها هو الثور المجنح ، اذا درنا حوله واحصينا قوائمه نجدها خمساً ، ولكن اذا وقفنا ونظرنا اليه من أية نقطة ثابتة واحصيناها نظل نجدها اربعاً فقط !! . . .

ها هي الازياء الاشورية والسومرية والبابلية القديمة تفوق بجمال تصميمها واصالتها الفنية معارض الازياء المعاصرة . . . قلت ذلك لصديقي الفنان ولم ادهش حينما علمت ان مجموعة من الفنانين هم : ضياء العزاوي ـ رافع الناصري ـ امل بورتر ـ يوسف الصايغ ـ هاشم سمرجي ـ سميرة ابو الصوف ـ قد صمموا ازياء معاصرة مستوحاة من الازياء الاشورية والسومرية والبابلية القديمة ومن الكردية والبدوية وغيرها . . . وبذلك كان حفل عرض هذه الازياء بادرة فريدة في هذا المجال وتظاهرة فنية اصيلة ، لا كرنفالاً بورجوازياً كما هي العادة في حفلات عرض الازياء . . .

Akhawia.net

ان من يدخل هذا المتحف لا بد وان يخرج منه معجباً بالتنوع والاصالة الفنية المعاصرة لنتاج الحضارات التي تعاقبت على هذه الارض ، وبالقدرة المدهشة لدى تلك الاقوام على التفرد والخلق الفني الغني بالعاطفة ، وعلى سبيل المثال ، اتخذ من ذلك التابوت الحضري شاهداً على ما اقول .

لقد شاهدت في متاحف روما وباريس وبريطانيا والقاهرة و . . . و . . . توابيت لا حصر لها من حيث التنوع او الضخامة او الفخامة او دقة الحفر او غيرها . . . ولكنني لم اشاهد في حياتي تابوتاً هزني انسانياً مثل ذلك التابوت في متحف بغداد ـ الذي يعود تاريخه الى المرحلة الحضرية ٤٠٠ سنة قبل الميلاد والذي كان له شكل الرحم . . . تابوت على شكل الرحم . . . انها قصيدة شعرية منحوتة في الحجر . . . من الرحم الى الرحم . . . من رحم الام الحنون الى رحم الموت الحنون . . . من المجهول الى المجهول . . . مدهش ذلك التابوت الصغير المتواضع . . . تلك القصيدة الانسانية المذهلة الصفاء ، المعبرة عن ذروة المصالحة مع الوجود ، وذروة التفاؤ ل الانساني في تابوت ! . . .

قبل ان اغادر المتحف عدت لاقف ثانية امام جمجمة وهيكل عظمي لانسان عمره ٤٥ الف سنة (انسان نياندرتال) وآخر عمره ٦٠ الف سنة . . . وقد وضعا في قفصين زجاجيين متجاورين تخيلتهما يتحاوران بعد ان يذهب الناس والحراس . . . ترى ماذا يقولان ؟ سيقول الاول للثاني انه قيل له ذات يوم : ستكون نهاية العالم بعد اعوام وابعث من جديد فماذا حدث ؟ وسيرد عليه الآخر : قيل لي قبل ان اموت انا ايضا انني بعد الف سنة سأبعث من جديد ! .

وها هما مسترخيان في قفصيهما الزجاجيين في المتحف وهما ينتظران منذ ٤٥ ـ ٦٠ الف سنة . . . وينتظران وينتظران وينتظران . . . وما زالا .

وسوف . . .

ترى هل ؟ . . .

وترى هل تقف فتاة ما بعد ٦٠ الف سنة ـ كما وقفت انا اليوم ـ امام قفص زجاجي يضم جمجمتي انا وهيكلي العظمي لتفكر بالشيء ذاته . . . ام باشياء اكثر صراحة ووضوحاً لانه لن يضطر احد بعد ٦٠ الف سنة اخرى الى تمويه ما يمر بباله من خواطر ؟ ! . . . سوف ادري قريبا (اي بعد ٦٠ الف سنة) . . .

وغادرت المتحف . . . وفوجئت ببوابة قائمة بالقرب منه ، بوابة بلا بناء . بوابة فقط ، مفتوحة على الريح والعراء . . . يمكن ان تكون بوابة لليل . . . للتاريخ . . .

Akhawia.net

لبيوت مدفونة تحت الارض . . . بوابة لشيء تاريخي سري . . .

وسألت عن هذه البوابة الضخمة القائمة دونما بناء خلفها ودون ان تقود الى مكان معين فقيل لي :

سبق ان بنيت لتكون بوابة للمتحف ثم الغيت الفكرة وبقيت البوابة . . . إذن فلنقل انني زرت متحفين . . . متحفا مرئيا . . . و آخر له بوابة ، وحدوده المجهول ، ودليله اناشيد الرياح ، وقاعاته ساحات الخيال ، ومعروضاته هي كل ما لا نعرفه عن التاريخ . . . ـ اي اكثره ! ـ .

معرض الفن الحديث

لولا صديقي الفنان الذي رافقني الى معرض الفن الحديث لضعت . . . فلوحات المعرض تفتقر الى بطاقة صغيرة توضع بجانب كل لوحة لتبين اسم الفنان واسم اللوحة وتاريخ رسمها لمساعدة الزائر الغريب مثلي الذي لا يسعده الحظ بدليل كدليلي . . . صحيح ان اللوحات موقعة ، ولكن توقيع الفنانين داخل لوحاتهم هو الشيء الوحيد المشترك بينهم وبين الاطباء حينما يكتبون وصفاتهم الطبية (الراشتات) ، كلاهما يكتبها بخط غير مفهوم . . . (اتمنى على ذلك المتحف الجيد والمهم ان يتلافى هذا النقص البسيط) . . .

تجولت في ارجاء المتحف ، ونادتني لوحاته . نادتني اولاً اللوحات التي اعرف بصمات اصحابها فيها قبل ان اقرأ تواقيعهم .

ضياء العزاوي

لست بحاجة الى بطاقة لاعرف لوحات ضياء العزاوي . ان من يراها مرة كما رأيتها في احد معارض بيروت لا يستطيع ابدا ان ينسى تلك الزخارف والتهاويل التي تحمل مزيجاً مدهشاً من الفنون الاسلامية والفنون السومرية والتي استطاع ان يعيد خلقها في رؤى تجريدية حديثة لها شفافية الحلم وكثافة الواقع . . . لوحاته نسيج حي ، الوانها تتنفس بشدة وتنبض كما الشريان النازف تحت الشمس الحارة المتدفقة من كوة قبة سرية حاملة معها بشراسة حقائق انسانية موجعة ومنبهة .

ان هذا الفنان منتج بصورة مذهلة ، والمذهل فيه ليس الكثرة وانما قدرته على المحافظة على المستوى رغم الكثرة ، انه نبتة اسطورية متعددة المواسم ، جذورها مغروسة بشدة في روحانية قومه وتاريخ ارضه والرموز والاساطير في الحياة الشعبية العراقية . . . وهو رغم مهارة الصانع الزخرفي (الحرفي) فيه يظل اولاً وهو الاهم فنانا موهوباً كل لوحة

Akhawia.net

لديه سنبلة تحمل وعداً ببيدر . . . اعجبني ضياء العزاوي في لوحاته كما اعجبني في تخطيطاته(إلاستريشنز) لعديد من الكتب والقصائد . . . اننا مدينون لهذا الشاب مع هاشم السمرجي وغيرهما لتطويرهم شكل الكتاب العربي الى درجة متناهية من الفنية والجمالية والذوق الرفيع بحيث يتم التزاوج بين شكل الكتاب ومضمونه . . . ويصير الاتحاد كاملاً ووحدة فنية لا تنفصم . ونرى ذروة هذا الاتجاه ممثلة في الكتاب ـ اللوحة « انتظريني عند تخوم البحر » مثلا وهو شعر يوسف الصائغ ورسوم ضياء العزاوي .

والكتاب قطعة فنية قصائدها لوحات ولوحاتها قصائد وكلها وحدة تخلق مناخاً موسيقياً خاصاً . . . انها اسطوانة ، متعددة الصفحات انغامها مرسومة (بنوتة) ابجدية يوسف الصايغ وتعازيم ورقى ضياء العزاوي . . .

رافع الناصري

في المتحف لوحتان لفنان عراقي آخر احببت اعماله منذ التقيت بها في بيروت عام ١٩٦٩ . . . وهو الآخر استطيع ان اميز لوحاته وسبقت لي معايشتها . في معرض الفن الحديث شاهدت لوحتين وادهشني تطوره السريع منذ عام ١٩٦٩ حتى اليوم . . . ان هذا الفنان الموهوب ـ الموهوب برهافة مذهلة كما لو كانت موهبته ابرة مغروزة في نخاعه ـ يتمتع بإخلاص رهباني لفنه يذكر بالرهبان البوذيين . . . لوحاته الاخيرة صارت نتاجاً فريداً لانصهار الدقة الجرافيكية الصينية (درس في الصين الشعبية) وحتى تأثره بالاسلوب التقليدي في تقديم (بريزنتيشن) اللوحة الصينية (ونجد هذا التأثر داخلاً في بنائه لتكويناته التجريدية ، هذا بالاضافة الى قدرته على الضبط الصارم للجرافيك* . وتقنيته المذهلة في اللعب بالطبقات اللونية للون الواحد مع الاحتفاظ بصفاء لوني تفوح منه رائحة غابة غسلها المطر طوال الليل ثم كف عن الهطول تماماً لحظة الفجر . . .) . الوان رافع تحمل كثيراً من حزنها وضيائها وصفائها وتوحدها وعزلتها المترفعة وجوعها الى الاخذ والعطاء . . . ويلفت النظر لدى رافع كما لدى الكثير من الفنانين العراقيين الشبان ادخالهم للحروف العربية في اللوحة والخروج بها نهائيا من مرحلة التزيين الافريزي ومرحلة المعنى الحرفي الى مرحلة تفجير طاقاتها الايحائية والى اختراق للحس التاريخي عبر الحرف نفسه . . .

واذا صح ان في لوحات رافع الناصري هاجس الخروج نحو الآخر ، هاجس الشوق نحو التوحد من اجل الخلاص ، فانني أحس أن فيها في الوقت ذاته هاجس

---

* فاز رافع الناصري بجائزة عالمية للجرافيك وذلك عام ١٩٧٨

Akhawia.net

الرفض للتوحد مع الآخر . . وهاجس الرفض للخروج نحو الآخر . . . الرفض والرغبة قطبان ، والفنان رافع بينهما كوتر مشدود عنيف الايقاع ، شراسة الرفض لديه تعادل شراسة الرغبة . . . وربما كان ذلك ابرز ما في أصالته . . . فالفن لديه مغامرة كبرى اهم ما فيها دائما الخطوة التي لم يخطها بعد .

فن أصيل ومتفرد ومتنوع

تابعت جولتي في معرض الفن الحديث الذي يضم نماذج من اعمال ابرز فناني العراق فخرجت منها بشعور من شرب من ماء البحر وازداد عطشاً . . .

عشرات من اللوحات والمنحوتات لمختلف الفنانين اثارت رغبتي في رؤ ية المزيد ومعرفة المزيد . . .

هناك ثلاث لوحات لنوري الراوي (للاسف ليس له في المعرض سواها) احببتها (انا شخصيا) واحببتها حقا ، ان فيها قدرة خارقة على خلق اجواء الاحلام ، انها ليست وقوفاً على اطلال الذكريات وانما هي هذه الذكريات مجسدة . . . فيها شحنة عجيبة من الحنين والشفافية تجتذبك ، وفجأة تكف عن ان تكون واقفاً على قدميك خارج اللوحة ، تعبر في داخلها راكضاً في احد ازقتها ، راكضاً بين تلالها الرمادية ومنازلها المهجورة ، راكضاً بحثاً عن وجهك الذي كان . . . وحبك الذي كان . . . ولكن مناخها لا يدفع بك الى الندب ، ولا الى الخدر الصوفي وانما الى ركض لا متناه في دروبها البعيدة حيث تغيب داخل اللوحة ولا يجدك اصدقاؤك بعدها ابداً . . . لوحات نوري الراوي الثلاث تفجر في الاعماق احاسيس لا يعرف الانسان كيف يترجمها لكنها تعيش هناك في مغارة النفس البشرية ودهاليزها ويظل صوتها يعلو رغم عشرات الاكفان التي نلفها بها سراً كما نلف اطفال الخطيئة السريين الذين هم احب الاطفال واشقاهم . . .

وتابعت جولتي في معرض الفن الحديث . . .

Akhawia.net

بغداد ١٨/ ٢/ ٧٢

لقاء بيكاسو والواسطي
بعيداً عن « الصالونية »

قبل ان اتابع جولتي في معرض الفن الحديث ببغداد ، اجد انه من الامانة العلمية ان اسوق الملاحظة التالية : اعرف انني توقفت طويلاً في مقالي الماضي امام لوحات ضياء العزاوي ورافع الناصري وكتبت عنها بشيء من التفصيل . هل يعني ذلك انه ليس في العراق سواهما؟ طبعاً لا . ذكرتهما على سبيل المثال لا الحصر . فقد تصادف ان اطلعت على اعمالهما اكثر مما شاهدت اعمال اي من بقية الفنانين العراقيين . . . شاهدتهما في مرسمهما الخاص ، في بيتيهما وشاهدت اجمل لوحاتهما في بيت الفنان جبرا ابراهيم جبرا (بالمناسبة في بيته متحف خاص رائع) وفي الوثائق التي تفضلا بتزويدي بها عن فنهما وعن الفن العراقي بوجه عام . . . بل وشاهدت ما هو مبعثر من لوحاتهما في مراحلهما المختلفة ببيوت الاصدقاء . . . وكنت اتمنى باخلاص ان تسمح لي الظروف بممارسة الدراسة ذاتها بالنسبة لعدد كبير من الفنانين الذين خطفت انتباهي نماذج من اعمالهم شاهدتها في المعرض او قرأت عنها في الدراسات الفنية المختصة والمجلات ولكن اللوم لا يقع علي او عليهم وانما على اقامتي المختزلة جداً في العراق . . .

بيكاسو والواسطي

اتابع جولتي في معرض الفن العراقي الحديث . امام تمثال الام لجواد سليم وقفت . تذكرت قول الكاتب المبدع جبرا ابراهيم جبرا فيه (انه يمثل الحركة الفنية العراقية الحديثة على اروعها . بنظرياته حول الدمج بين التراث والتجديد ، بين العراقي والعالمي . . . فقد جمع بين الموهبة الفطرية والمعرفة الجادة ، بين الحس التاريخي والنظرة المنفتحة ، جامعا في تأملاته واعماله بين منحوتات سومر وآشور ورسوم يحيى الواسطي والنحاسيات العباسية مع شتى نظريات الفن الحديث . . .) والواقع ان جواد سليم ليس وحده الذي (يستقصي امكانيات التخطيط بوحي من يحيى الواسطي العباسي من ناحية وبيكاسو من ناحية اخرى) بل ان ذلك ينطبق بصورة عامة على الحركة الفنية الحديثة في العراق بنسب

Akhawia.net

متفاوتة مع اختلاف الفنانين . . . هنالك ذلك العناق الرائع بين التراث وبين العصر وهو أمر لا يقوى على صهره الا الابداع النادر . . . شيء آخر يلفت النظر في حركة الفن العراقي وهو تجددها ورفدها الدائم بدم فكري جديد وثورية دائمة وعدم وقوعها في وثنية الاسماء الفنية او المواقف الفنية ، وانما التجاوز المستمر لكل ابداع بآخر اكثر حداثة . . . انها بهذا المعنى نهر مياه دائمة التجدد . . .

امام لوحة لجواد سليم وقفت ، واحسست انها ليست لوحة بقدر ما هي تخطيط لتمثال ! . . . ان رؤ ية هذا الفنان في نظري نحتية . . . والقليل جدا جدا من لوحاته التي رأيتها جعلتني اميل كثيرا الى الاعتقاد برأي جواد سليم في نفسه (وهو الرأي الذي عبر عنه ذات يوم في مذكراته يوم قال انه يشعر بأن سره يكمن في النحت لا في الرسم) وعلى اية حال لا يمكنني اطلاق رأي نهائي . . .

وقفت طويلا امام لوحات حافظ الدروبي وفائق حسن . . . رغم قلتها في المعرض لا يمكنك ان تمر بها دون ان تتسمر امامها . . . انها تمثل بابداع مرحلة مهمة من تاريخ تطور الفن العراقي . . وبدونها لا نستطيع ان نفهم المرحلة الحالية بكل ايجابياتها وسلبياتها . . . وقد لاحظت ان الدراسات النقدية منصبة على جواد سليم رغم ان رفاق الامس لا يقلون عنه موهبة ، وربما كان مرد ذلك الى ان مثقفينا في بلادنا العربية يميلون بصورة عامة الى تكريم مبدعينا بعد تأبينهم . (تذكرت لوحة رائعة اسمها بغداد لفائق حسن شاهدتها عام ١٩٦٦ تزين غلاف مجلة لبنانية فلفتت نظري واحتفظت بها وما تزال عندي) .

اتابع جولتي في المعرض . اطير من جدار الى آخر من لوحة الى اخرى دون تنظيم . احب ان اتصرف في المعارض الفنية كفراشة (وهو امر تحرمنا منه المعارض الاوروبية حيث الزحام يحتم علينا السير في صف منظم كما لو كنا مسيرة كشفية !) . . .

ها هو صالح الجميعي . فنان آخر مميز الاسلوب لا تحتاج لرؤ ية توقيعه لتعرف لوحاته . . . قال لي دليلي الفنان إن لوحته في هذا المعرض هي من اجمل لوحاته . أتأملها ، فتذكرني بالجدران القديمة التي أكلها الزمن بينما هو يرسم عليها احاجيه وحكاياه ، فملأها بالجروح ، ومسح عنها بعضا من رسوم الاطفال ورسائلهم التي كانوا يكتبونها للسماء . . . وذهب الجميع وبقي الجدار ، صار شيئا حيا مجرحا ينزف حكاياه بنغمة عراقية مميزة . . . والجميعي قادر على خلق هذا الايحاء عبر اسلوبه المميز في بناء اللوحة بكتل متنافرة والوان وحشية الانسجام وصفائح من المعدن . . . تأملت اللوحة عن قرب

Akhawia.net

ولاحظت فوق صفيحة صغيرة رسوما تذكر بالايقونات العتيقة في كنيسة بيزنطية راعشة الشموع . . .

وخطفت ابصاري ايضا منحوتة خشبية لمحمد غني ـ عام ١٩٦٥ ـ لذا توقفت طويلا (بعد خروجي من المتحف) امام تمثاله الذي توسط احدى الساحات في بغداد والذي يمثل مرجانة وخوابي الزيت (من قصة علي بابا والاربعين حرامي) حيث الماء ينسكب من الخابية التي تحملها بيديها الى بقية الخوابي . . . اعجبني التمثال جدا لفكرته المبتكرة والمستوحاة من الاساطير الشعبية العراقية ، تخيلت مثلا في موضعه ، احدى نافورات (برنيني) النحات الايطالي الشهير التي ملأ بها ساحات روما بصدفتها المميزة وجمال نسائها « الفينوسي » . . . لو أن فنانا استورد فكرة « الصدفة » الى بغداد ـ حتى ولو كان ناحتها هو برنيني نفسه ـ لكانت أمرا مصطنعا بين النخيل والرمال ، وها هو محمد غني يبتكر في بغداد نوعا جديدا من النوافير ، جميل بحد ذاته كفن أصيل مستوحى من المناخ الشعبي ومنبثق من الجو العراقي . . . وتنفيذ التمثال جيد لأنه خيل الي انني اسمع همسات الاربعين حرامي في الساحة (وتلفت حولي طويلا ولم ار أحدا منهم !!) . . .

اتابع جولتي في معرض الفن الحديث . . . كاظم حيدر رائع في ملحمة الشهيد ـ ٦٥ ـ٦٦ ـ . شاهدت جزءا بسيطا منها وتكون لدي انطباع عن الزخم العاطفي المأساوي الانساني فيها . . . وملحمة الشهيد مجموعة من اربعين لوحة صور فيها ملحمة متصلة الاطراف استلهم فيها استشهاد الحسين بن علي في كربلاء . . . انها من بعض حكاية الانسان في كل مكان ومقارعته للقوى التي تكبل انسانيته ، وهي ايضا تمثل سموه لحظة مصرعه ، وتجسد استمرارية قضيته . . .

استوقفتني ايضا شاعرية اسماعيل الشيخلي . . واحببت اللوحة اليتيمة لسوزان الشيخلي ورؤ ياها الخاصة الملونة لما حولها . .

لفتت انظاري لوحة وقعها فنان شاب هو (يحيى الشيخ) وهي عبارة عن بصمة كف ـ ربما كانت كفه ـ . . . وذكرني ذلك بالفنان الايطالي المعاصر جدا مانزوني الذي توفي منذ اعوام قليلة واقيم له معرض شاهدته في متحف الفن الحديث بروما . . . وكانت تحفته بصمة اصبعه على بيضة ! . . ولعله كان يهدف من نتاجه ككل الى خدش العين البورجوازية والرؤ ية الصالونية للفن .

. . . المهم ان مانزوني في محاولته لخدش العين البورجوازية كان وقحا اكثر مما كان

Akhawia.net

فنانا ، واستطاع ان يصل الى غرضه ولكن على حساب الفن . . . والرائع في الفن العراقي الحديث بعده الاصيل عن الصالونية وخدشه العفوي والتلقائي للعين البورجوازية دونما اي افتعال او استيراد للصرعات . . . الرائع ان تأثر الفن العراقي الحديث بالتيارات الغربية المعاصرة هو تأثر معافى وشديد الوعي . . . انه يهضم التيارات المختلفة ويفيد منها ولكنه ايضا يتجاوزها ليظل محتفظا بهويته الخاصة الاصيلة . . . ويظل محتفظا بحقه ايضا في حرية الحركة ابدا نحو مزيد من الابداع . . . ان في الكراس الذي اصدره فرسان ستة من الرسامين الشبان ذروة التجسيد لهذا الاتجاه ، ودلالة على وعي فني جاد ثوري ـ بالمعنى الحقيقي الفني العميق لكلمة ثوري ـ واسم هذا الكراس « نحو الرؤ يا الجديدة » وقد وقعه : اسماعيل فتاح ـ صالح الجميعي ـ ضياء العزاوي ـ رافع الناصري ـ محمد مهر الدين ـ هاشم سمرجي . . . وكنت اتمنى من قلبي كله ان اعيد نشره حرفا حرفا لولا ضيق المجال . . . واسماء اخرى كثيرة كان علي ان الاحق اعمالها لولا ضيق الوقت وقصر اقامتي هناك . . . حافظ الدروبي . . فائق حسن . . جواد سليم . . سعاد العطار . . لورنا سليم . . كاظم حيدر . . خالد الرحال . . نادرة عزوز . . شاكر حسن . . نوري الراوي . . سلمان عباس . . صالح الجميعي . . راكان دبدوب . . محمد مهر الدين . . غازي السعودي . . هاشم السمرجي . . غانم الدباغ . . ابراهيم زاير . . سعد الطائي . . نزيه سليم . . رسول علوان . . خضير الشاكرجي . . طالب العلاق وستار لقمان . . . شاهدت اعمال قلائل منهم ، وقرأت عن البعض الاخر في دراسات متعددة ومما لا شك فيه ان مسحا كاملا للحياة الفنية هناك يحتاج الى اقامة طويلة لا الى زيارة عابرة . . . وما اسطره في مقالي هنا ليس دراسة ، وانما هو انطباع خرجت به حول الحركة الفنية العراقية بصورة عامة : وهو انها حركة حية ، جادة ، اصيلة ، غنية بالمواهب والطاقات ، بعيدة كل البعد عن الزيف والصالونية ، وتثبت وجودها على اكثر من صعيد . . . على صعيد المعارض المتنقلة في البلدان العربية والاوروبية . . وعلى صعيد الكتب العراقية والملصقات الجدرانية وحتى على صعيد تصميم الازياء وغيره . . . وتبرز آثارها في كل شارع من شوارع بغداد وكل ساحة بصورة تمثال او نصب ، كلها من صنع فنانين عراقيين وكلها تخلد رجال الفكر العرب . . .

نقد واع وبناء

أمر آخر يلفت انظار الراصد للحركة الفنية في العراق وهو حركة النقد الواعي التي تواكبها . . . والاعداد الخاصة التي تصدرها المجلات الفكرية حول ذلك . . .

Akhawia.net

لقد وجدت في مجلة « المثقف العربي » العدد الرابع الخاص بالفنون التشكيلية مرجعا فنيا من الطراز الاول يرتفع الى مستوى الشهادة الفكرية التاريخية . . . وهو ليس مهماً فقط بالنسبة (لغريبة) مثلي تريد ان تفهم شيئا عن الفن التشكيلي هناك ، بل هو ايضا ـ وأولا ـ مهم بالنسبة للفنانين العراقيين جميعا لانه يساعدهم على الغوص في ذواتهم وعلى التقاط اول الدرب الصحيح ومتابعة شقه . . .

الشيء ذاته ينطبق على اكثر الدراسات الفنية والكتب التي صدرت والتي لولاها لما استطعت في أيامي الستة ان اكون شبه تخطيط للحركة الفنية هناك ، واني لمدينة لها ، لتلك السلسلة الفنية بالذات : الاطروحة الفنتازية لعلي الشوك ، والفن المعاصر في العراق ـ حركة الرسم تأليف جبرا ابراهيم جبرا ـ مقدمة في تاريخ الفن العراقي والفن التشكيلي المعاصر في العراق ـ شوكت الربيعي ـ جواد سليم تأليف عباس الصراف ـ البعد الواحد ـ شاكر حسن آل سعيد ـ الملابس الشعبية في العراق والملابس والحلي عند الاشوريين للدكتور وليد الجادر .

الطائرة المعرض

رأيي في الفن التشكيلي العراقي عبرت عنه عمليا قبل ان اخط هذه السطور . . .

فنان عراقي اعجبت ـ بل اغرمت ـ باحدى لوحاته* ، فرفعها ببساطة عن الجدار وقدمها بكل الكرم العراقي هدية لي ليلة سفري . . . وكانت لوحة كبيرة توازيني طولا وتكاد تحجبني حينما احملها وامشي بها ، بل تبدو مثل لوحة صار لها ساقان تسير بهما ! . . وابقيتها في اطارها خوفا عليها من اي تخريب . . . ولما لم تتسع حقائبي لها حملتها بكل بساطة وذهبت بها الى المطار . . . ويبدو ان مشهدي كان طريفا وانا احمل لوحة فنية بين عشرات المسافرين الذين يحملون (عدة السفر) كعلب الحلوى والكاميرات والمعاطف وغيرها . . . واكلتني نظرات الفضول . وأخيرا صعدت بها الى الطائرة فعبست المضيفة وقالت ممنوع . واستنجدت بالشبان المضيفين فكانوا كالعادة اكثر رقة وسمحوا لي بادخالها شرط ان اجد لها مكانا في الطائرة . . . وبعد طول عناء تم تثبيتها على الجدار الخلفي للطائرة الذي يفصل بين غرفة الركاب ومدخل الطائرة . . . واجتذبت اللوحة الانظار . وتجمهر الركاب ، خصوصا الاجانب منهم ـ وهو امر سرني ـ . . . ظنوا انني انا رسمتها ، واعترفت لهم ـ بحسرة ـ انني لست صاحبتها . . . وعرض علي مسافر اوروبي

---

*كانت اللوحة للفنان العراقي رافع الناصري الذي فاز بجائزة عالمية وقد نجت من حريق مكتبتي بالحرب اللبنانية الاهلية وهي حتى هذه اللحظة بحوزتي !

Akhawia.net

مبلغا لا يصدق ثمنا لها . . . وطبعا لم أقبل . ولكنني احسست ان الفن العراقي المعاصر يجب ان يطير الى العالم كله . . . لقد تكونت لدي قناعة عقلية بعيدة عن المجاملات ـ التي امقتها ـ ان الفن العراقي قادر على ان يطير الى شعوب العالم كله . . . وان يقول لها الشيء الكثير . . .

من يدري . . . قد يأتي يوم تفاجأ فيه الطائرات بكل راكب قادم من بغداد ومعه لوحة . . . وربما تمثال ! . . أو نصب ! . .

Akhawia.net

٧٢/٢/٢٥

المسرح : شريحة مبدعة من حياة الشعب

يومي الثاني في بغداد: . . أسير في السوق شبه مذهولة . . . فالضباب قد احتل المدينة وهي المرة الاولى التي أرى فيها الضباب يشرنق أشجار النخيل والمآذن الملونة والقباب المنقوشة ، وهي المرة الاولى التي يمتزج فيها الضباب بروائح الفلفل والكاري والصابون والشمع الملون وغيرها من الروائح المميزة العجيبة لأسواق بغداد . . . كأنها رائحة التاريخ ، رائحة حكايا طويلة ، رائحة سفن قادمة من الشرق البعيد محملة بالطيب تلمع عليها أسنة سيوف بيض عربية . . . انها المرة الاولى التي أرى فيها الضباب يشرنق الالوان الزاهية لسوق عربية قديمة . . . رأيت الضباب في لندن فأحسسته دوما بعضا منها ، أحسسته هناك امتداداً لاشخاصها، لسلوكهم في الحياة ومواقفهم من الناس ، وكنت أراه يسيل من العيون والشفاه ومن النوافذ الموصدة وابواب المترو وشارات المرور في الشوارع المزدحمة ، وينسكب جداول من ضبابات البرودة والغموض والكآبة . . . فالضباب في لندن صناعة محلية ، او افراز طبيعي للاشياء ، اما في بغداد فغزو الضباب مشهد يثير الذهول ، تماما كما لو احتلت الصحراء والمدينة كائنات قادمة من كوكب آخر ، لتحجب عني الرؤ ية الواضحة . . .

ربما كان ذلك بالذات ما دفعني للذهاب الى المسرح والبحث عن المسرح العراقي . . . . ففي المسرح نجد دوما شريحة من حياة الشعب وقد سلطت عليها اضواء الوضوح دونما عازل من ضباب . . .

وانا لا أذهب الى مدينة الا وابحث عن المسرح فيها ، ليس لأن اختصاصي الدراسي هو المسرح فحسب ، بل لأن المسرح يلخص المناخ الفكري والثقافي للبلد ، وعبر مستواه من حيث اختيار المسرحيات ووجود النصوص المحلية او فقدانها ووجود الممثل الجيد او الافتقار اليه واساليب الاخراج ، تستطيع ان تكون اوضح صورة ممكنة فكرية واجتماعية وانسانية وسياسية عن البلد الذي انت فيه ، وفي أقل وقت ممكن .

■ فرقة المسرح الفني الحديث ■

لم اسأل شخصا في بغداد عن المسرح الا وذكر لي اسم يوسف العاني . وكما انهم

Akhawia.net

في بيروت يسمون (المسرح الوطني) بمسرح شوشو ، فانهم في بغداد يسمون « فرقة المسرح الفني الحديث » « بمسرح العاني » ! .

وذهبت الى « مسرح العاني » لكنني وجدت ان هنالك ايضا « فرقة للمسرح الفني الحديث » بمعاني الكلمة كلها ـ الى حد بعيد ـ ، وان حركة مسرحية صحية جماعية تقوم على اكتاف مجموعة من الشبان تتعاون والعاني على خلق مسرح عراقي عربي أصيل .

وفي مسرح بغداد حيث ذهبت لمشاهدة يوسف العاني فوجئت بان الفرقة تقدم ثلاث مسرحيات متتالية في كل ليلة ! . . .

بدأ الاحتفال المسرحي بمسرحية « حكاية مرض اسنان » تأليف اوزفالدو دراكون ، وهو كاتب تقدمي ارجنتيني شاب يقوم بترجمته قاسم محمد ويرجع اليه فضل اكتشافه وتقديمه الى الجمهور العربي . تروي المسرحية مأساة فرد عادي من افراد المجتمع هو بائع « الشوكولاته » الجوال في الشوارع الذي يعيش وزوجته حياة كفاف قانعين . وتبدأ المأساة يوم يصاب البائع بألم في ضرسه وهو ايضا حادث عادي يحدث لكل شخص ، ولكن هذا الحادث العادي يمكن أن يدمر حياة فرد في مجتمع استهلاكي لا يجد فيه من جشع بعض الاشخاص قانون او نظام . . . وهكذا يسقط بائع (الشوكولاته) المسكين (روميو يوسف) وزوجته (ناهدة الرماحي) فريسة جشع الطبيب (قاسم محمد) الذي يمثل الطبقة المستغلة ويقضي ايامه يحصي ذهبه . . . وتنتهي المسرحية بالبائع المسكين وقد باع حتى اثاثه وهو يدور في الشوارع صارخا (آه يا ضرسي) . . . بل ان المسرحية لا تنتهي هنا . . . انها في الواقع تبدأ هنا ، تبدأ في ضمير المشاهد وتنخر في اعماقه ببساطة ، وتجعلنا جميعا نقف امام تماثيل (الحكام العظام) في الشوارع ونسألهم كما سألهم هو بحرقة عما فعلوه من اجل آلام الفرد العادي المسحوق .

اخرج المسرحية سامي عبد الحميد بابسط الطرق واكثرها حداثة . ليس هنالك ديكور مسرحي بالمعنى التقليدي (حتى مرور المترو على المسرح يمثله اشخاصها حيث ينتظمون في صف ويركضون وهم يصرخون توت تشك ـ تشك . . كما يفعل (الاطفال) ، والحكاية باكملها يقصها علينا الممثلون الذين يجابهون الجمهور ويتحدثون اليه مباشرة في بدايتها ، على طريقة (الحكواتي) الجوال . . .

لقد كان احتفالا مسرحيا يتميز بالبساطة الى جانب العمق ويتميز باكتشاف احدث التيارات الفنية العالمية التقدمية التي تطرح نموذجا ابداعيا بعيدا كل البعد عن الخطابية الجوفاء والشعارات الطنانة التي يتوهم كتابنا احيانا انهم بالصاق بعض عباراتها (على

Akhawia.net

المضمون الرجعي لاعمالهم) يستطيعون تأبط لقب اديب تقدمي ! . .

■ يوسف العاني يتوهج على المسرح ■

استراحة قصيرة ، ويبدأ بعدها الاحتفال المسرحي الثاني بتقديم مسرحية « لويش ، شلون ، المن ؟ » ـ هذا باللهجة العراقية ومعناها ـ لماذا ، كيف ، لمن ؟ .

وهي حكاية تشبه الى حد بعيد حكاية مسرحية « جحا في القرى الامامية » التي (لقيت نجاحا كبيرا في بيروت في الموسم الماضي) . . . ويلعب يوسف العاني دور شخصية عراقية مثل شخصية « جحا في القرى الامامية » ولكن على الطريقة العراقية . . . انه يمثل شخصية شعبية بسيطة وطيبة وذكية دونما خبث ـ أي نموذج لابن الشعب العادي ـ (في كل بلد عربي يوجد هذا النموذج . . . انه ابن الشعب الذي يحكم الحكام باسمه ويتم غالبا امتصاص دمه باساليب مختلفة هي مزيج من التخلف المحلي وقوى الاستعمار التي لقبها الرسمي الامبريالية العالمية . . .) . . .

وقصة (لويش ؟ شلون ؟ المن ؟) بسيطة ايضا بساطة بطلها مصلح الاحذية وابن الشعب الذي يحاول وسيط شراءه لحساب (غانغستر) رجل عصابات امريكي يرمز للاستعمار .

والمسرحية في بعض مواضعها تمتاز بطاقة درامية ممتازة ، خصوصا حينما يستدعي الوسيط مصلح الاحذية الى مكتبه واذا بمصلح الاحذية يظن ببراءة ان (الوسيط) بحاجة الى تصليح حذائه . فينحني على حذائه ويتأمله ويقول له انه حذاء فخم لم يشهد مثله من قبل . وعبثا يحاول الوسيط ان يدخل معه في حوار حول موضوع (العمالة) ، اذ ان مصلح الاحذية يصر على تصليح حذاء الوسيط ولو بالقوة ! . . .

يوسف العاني يمتاز على المسرح بما يمتاز به الممثلون الكبار الموهوبون حقا . انه يشرقط على المسرح ويتوهج . . . انه لا يمثل وانما يعيش دوره ويتحد به ، انه دونما شك يملك حضورا مسرحيا آسرا وما يكاد يطأ الخشبة حتى تسري في القاعة كهارب سرية تشد المتفرج ، انها الكهارب التي لا يمكن ان يخلقها سوى حضور الممثل المبدع . . . وهو لكثرة ما يعيش دوره بصدق ، يفاجئك اذا لقيته بعد المسرحية مرتديا ثيابه العادية ووجهه العادي وحديثه الذي قد يلتقي مع اسلوب حديث (ابن البلد العادي) بصراحته ، ولكنه دونما شك يختلف عن حديث الناس العاديين بأن له نظرياته الخاصة في المسرح وآراءه السياسية ، ودراساته ، وكتبه وعطاءاته المتعددة الجوانب ـ وحينما يتحدث انسان عن

Akhawia.net

المسرح في العراق فانه ملزم بحكم الواقع التاريخي ـ ان لم يكن بحكم اعجابه ـ ان يتوقف طويلا عند يوسف العاني الذي يقترن اسم المسرح باسمه في اذهان الجماهير في العراق . . .

■ الأغنيــة الاخــيرة . . . ■

استراحة قصيرة وبعدها الاحتفال المسرحي الثالث . . . مسرحية « الاغنية الاخيرة » تأليف تشيكوف واخراج قاسم محمد وتمثيل سامي عبد الحميد . هذه المسرحية يقوم بتمثيلها بأكملها ممثل واحد (مثل مسرحية يوميات رجل مجنون تأليف غوغول الروسي ايضا) . . .

والمسرحيات التي يقدمها فرد واحد خطرة . . . فهي اما ان تنجح نجاحا باهرا او تسقط سقوطا باهرا . . . وهي لذلك تثير فضولي . وحكاية « الاغنية الاخيرة » هي مثل سائر اعمال تشيكوف ، غاية في بساطة الطرح ، وغاية في عمق التأثير والتلاعب بمختلف اوتار النفس البشرية في كل مكان وفي كل زمان . . . (الكلاسيكية الشمولية لا الكلاسيكية المحنطة) . . .

وهي تروي حكاية ممثل عجوز ثمل ، أدى نمرته التهريجية على المسرح ثم ذهب ليعب الخمرة كعادته في غرفة تغيير الملابس والماكياج وغرق في سكرته وغادر الجميع المسرح واقفلوا الباب وبقي وحيدا . . . وها هو ماضيه يتفجر ، ها هو وحيد تحيط به الدمى المسرحية الباردة البلهاء النائية عنه تحدق فيه بعيونها الزجاجية دون ان تملك له شيئا ، كذلك جمهوره ، لقد منحه التصفيق والاعجاب ولكنه لم يمنحه الدفء والحنان الذي هو بأمس الحاجة اليهما وهو في هذه السن . . . ها هو يقف امام المرآة . . . يمسح ماكياجه ويرى في تجاعيد وجهه آبارا من ذكريات الآلام يسقط فيها بئرا تلو الآخر ويتابع شربه . . . احزانه لا يمكن الا أن تفجر في اعماق اي مشاهد اصداء لها . . . احزانه على الصعيد الوجودي لا حل لها : الشيخوخة ، الموت الذي يتربص بنا ، ووحشة الانسان وغربته . . . ولكن هنالك احزانه الاخرى التي تقع على صعيد المعايشة اليومية : فتاته التي رفضت ان تتزوج منه لأنه ممثل في مجتمع طبقي ينظر الى الممثل نظرة متخلفة انسانيا ، ويحرمه ـ كما يحرم سواه ـ من ضمانات الشيخوخة التي يفترض ان تتوفر في المجتمعات العادلة . . . وهكذا فالمسرحية بشكل غير مباشر صرخة اتهام ليس على صعيد الوجود العبثي فقط ، بل هي أيضا صرخة اتهام في وجه نوع من المجتمعات الاستهلاكية التي تلفظ الانسان بعد ان تستنفده كما ترمي بعلبة الكونسروة (المعلبات) بعد التهامها . انها صرخة

Akhawia.net

ضد كل نظام يكون فيه الانسان سلعة .

وتنتهي المسرحية بموت الممثل العجوز وبالتهاب اكف الناس بالتصفيق وحناجرهم بالدموع التي تمطر بصمت كما تنزف جدران المغاور الحجرية المعتمة . فسامي عبد الحميد يبلغ قمة الاداء فيها . . . وكما في مسرحية تشيكوف يغادر الناس جميعا المسرح ويبقى الممثلون مع ارهاقهم ومعي . . .

■ ٧٠٠٠ سنة مسرح ■

في غرفة صغيرة يتوسطها موقد ـ كدت اجلس عليه انا لشدة البرد ـ رحب بي الاخوان الممثلون . . . ارتموا على مقاعدهم منهكين ، وكان من المفروض انني أريد ان اتحدث اليهم حديثا (صحافيا !) لذا جلسوا صامتين ينتظرون اسئلتي وفي عيونهم ترحيب كريم ونظرة كلها محبة . . . وظللت صامتة . لم يعد لدي ما أقوله . . . (سيغمرني احساس بالذنب فيما لو اضطررتهم الى قول كلمة واحدة ! انهم في غاية الارهاق . ثم لماذا اسأل بعد ان شاهدت ما شاهدت . . . لماذا لا يهدأ « وسواسي الخناس » ـ اي فضولي ـ ولو ليلة ، فيتركني أريح واستريح ؟) . . .

وكانوا اكثر كرما مما توقعت . . . وتحدثوا الي طويلا عن عملهم . . . عن كفاحهم . . . عن حبهم للمسرح ، وعن المسرح كتجربة تعود أصولها في العراق الى ما قبل ٧٠٠٠ سنة ايام كانت تمثل قصة الخليقة طوال ثلاثة ايام احتفالات اعياد رأس السنة البابلية . . .

رغم حديثهم الشيق عجزت عن الدخول في حوار حقيقي . كنت ما ازال ساقطة تحت تأثير « الاغنية الاخيرة » لتشيكوف ، أتأمل وجه ممثلها الشاب سامي عبد الحميد وقد غسل عن وجهه الماكياج المسرحي العجوز ، ومع ذلك ظلت في ملامحه الى حد بعيد احزان دوره . . . واحسست ان في كل مسرح في العالم بعضا من مسرح تشيكوف ووراء كواليس اي مسرح ممثلا يغني بعضا من « الاغنية الاخيرة » . . .

قاسم محمد ومسرح الاطفال

في اليوم التالي كان لي لقاء مع قاسم محمد . لم اخف عليه سروري بالاحتفال المسرحي الثلاثي الذي شاهدت . انهم بتقديمهم لمختلف الاساليب المسرحية في احتفال واحد يساهمون بتثقيف الجمهور مسرحيا بصورة غير مباشرة . . سألته أن يحدثني عن نفسه بعد ان لفت نظري اسلوبه في الاخراج ، واختياره لترجماته الذي يعني اطلاعا على النتاج العصري ومثابرة . لا يبدو انه يحب كثيرا ان يروي قصة حياته ومع ذلك قال لي (أنا

Akhawia.net

خريج معهد الفنون الجميلة في بغداد قسم المسرح ١٩٦٢ . تابعت دراستي في موسكو وتخرجت عام ١٩٦٨ . ذهبت لادرس التمثيل فتخصصت في الاخراج . اعمل صباحاً في الفرقة القومية « مسرح الطفل » . في العالم الماضي قدمنا مسرحية « طير السعد » للاطفال وهي اسطورة عراقية لقيت نجاحاً واثبتت امكانية وضرورة تأسيس مسرح للطفل. نعم - اعتقد ان الفولكلور الشعبي العراقي غني جدا بالامكانيات الدارمية) . . الأخ لؤ ي القاضي الذي رافقه في زيارته الي يحدثنا عن فيلم عراقي خاص بالاطفال يعده مع قاسم محمد (لؤ ي القاضي شاب سينمائي درس في برلين وعاد من مدة قريبة ليتابع مع رفاقه المثقفين مهمة بناء فن عراقي حديث وأصيل في ارض كانت لها ايام وتراث . .) لفت نظري تركيزهما على نبش القضايا الفولكلورية الشعبية مع اعادة النظر فيها . . انهما سيقدمان مثلا اسطورة علاء الدين والمصباح السحري ولكن هذه المرة سيتحرر المارد من المصباح ولن يعود اليه عبدا وانما سيحطمه . . . ووجدت انني التقي معهما في اهتمامهما بمسرح الاطفال وتذكرت رأيا جيدا لسميرة حسن قرأته في احد أعداد مجلة (المسرح والسينما) حيث توضح انه من المهم العمل على (خلق جمهور من الصغار هم نواة لجمهور مسرحي ثابت وهذا بالضبط ما ينقص المسرح في قطرنا فنحن نفتقر الى احد العناصر المهمة في المسرح الا وهو الجمهور المسرحي الثابت والذي يأتي الى المسرح لا لمشاهدة وجوه معينة او فرقة معينة انما الى المسرح لكونه مسرحا اعتاد عليه . بالاضافة الى ما تقدم فان مسرح الاطفال يمكن ان يربي النشء تربية صحيحة ولن يتكامل المسرح في بلد ما دون هذا الجانب المهم والحيوي من جوانب الفن المسرحي) .

وقبل ان يغادرني قاسم محمد ترك بين يدي نصاً مسرحياً اسمه (انا ضمير المتكلم الذي التحم بالفعل الماضي الناقص) ، وقد قرأته فيما بعد واعجبت به . . ان قاسم محمد في رأيي موهبة ذات طاقة مدهشة على العمل وان كنت اخشى عليه من التشتت بين مختلف الفعاليات الابداعية التي يمارسها . لؤ ي القاضي وحديثه عن السينما العراقية وازمتها زادني احساسا بانني اغرف من البحر بصدفة . وبعد أن مضيا تذكرت كم نتحدث عن الوحدة العربية ونصفق لها ونتغزل بها ونقف على اطلالها وننظم المعلقات في التباهي بها ونحن لم نحقق بعد الحد الادنى منها وهو الوحدة الثقافية ، بل اننا في كل قطر نكاد نجهل جهلا تاما ما يدور في الاقطار العربية الاخرى من نشاط فني وثقافي وفكري ، وانه بات من الضروري ان نطلق شعار « اعرف نفسك » مع شعار « اعرف عدوك » .

Akhawia.net

يوسف العاني

اسم راسخ في المسرح العراقي ، له مفهمومه الواضح ، وخطه الصريح العلني الذي يسير على هديه . يكتب مسرحيات ودراسات ويمثل ويبدع في كافة المجالات . . له فضل كبير على تطور المسرح العراقي ١٩٥٢ بعد تخرجه من معهد الفنون الجميلة في العراق فرع التمثيل والاخراج ، أسس مع عدد من المثقفين فرقة المسرح الحديث . وكتب للمسرح منذ عام ١٩٥٠ عددا من المسرحيات القصيرة طبع منها (رأس الشلة) و (مسرحياتي) - بجزأين - . ومن الكتب التي ألفها : شعبنا - لوحات تمثيلية من ثورات الشعب العراقي - بين المسرح والسينما - افلام العالم . مسرحية الخرابة . . وله ايضا نشاط سينمائي ليس بزخم نشاطه المسرحي (كتب قصة وسيناريو فيلم وداعا يا لبنان ومثل دور العراقي فيه عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧) . ويشغل الآن منصب المستشار الفني لمصلحة السينما والمسرح في وزارة الثقافة والاعلام في العراق كما كلف اخيرا بمهمة المدير لمديرية السينما - في مصلحة السينما والمسرح في وزارة الاعلام . .

وقد اهداني مسرحيته (الخرابة) التي رغم اهتمامي بقراءتها لا استطيع كتابة كلمة عنها لأنها مكتوبة باللهجة الشعبية العراقية التي لست ضالعة فيها واعتقد ان قضية (اللهجات) في المسرح يجب اعادة طرحها على ضوء منظار الرغبة الجادة في وحدة ثقافية عربية .

ناهدة الرماحي . . .

سيدة جادة . ممثلة جادة . ليس فيها شيء من الخلاعة التقليدية التي التصقت خلال عصور انحطاط الفن بكلمة ممثلة . انها ممثلة بالمعنى الثوري الحق للكلمة ، فهي امرأة عاملة وموهوبة وزوجة وام وموظفة . . لم ارها الا مهرولة . . . على المسرح وخارج المسرح . . . راكضة ابدا كي تمنح المزيد . . . تمنيت ان ارى ايضا ممثلة سمعت عنها واسمها زينب وقيل لي انها وناهدة الرماحي من افضل الممثلات العراقيات . . سألتها عما تفعله ، فروت لي الكثير من نشاطها السينمائي الحالي (فيلم العطش) والمسرحي (مسرحية الخرابة) وختمته بعبارة احببتها (ما زلت اتعلم واتعلم واتعلم . . .)

مسرح مصلحة السينما والمسرح

ليلة رحيلي انعقد الغيم في السماء عنيدا لا يمطر ولا يرحل . . احسسته مثل كل بداياتنا الثقافية التي انعقدت في سمائنا غيما يبشر بعطاء عالمي متكامل ولا يمطر . . ولا يمطر . .

Akhawia.net

ورافقت صديقين فنانين الى افتتاح مسرحية (فيت روك) التي يقدمها قسم الفنون المسرحية في اكاديمية الفنون الجميلة . المسرح حديث وفخم يختلف تماما عن (مسرح بغداد) الشعبي ولكن المسرحية التي شاهدتها في ذلك المسرح المتواضع كانت افضل (فنيا) من مسرحية الخريجين . . . ربما كان السبب يعود الى انني شاهدت المسرحية ليلة افتتاحها ، وجميع الممثلين الناشئين يقدمون دوما اسوأ ما عندهم ليلة الافتتاح بسبب حالتهم النفسية وارتباكهم (وهو أمر طبيعي) . . .

كان الجيد في مسرحية (فيت روك) هو اختيارها لانها تقدم للجمهور العراقي والعربي خطا حديثا في المسرح يقوم على (تحريك المجاميع) المسرحية لا على (البطل الفرد) والمسرحية تدين الحروب العداونية والاعتداء على الشعوب الآمنة من خلال ادانتها للحرب العدوانية التي تشنها اميركا في فيتنام .

وغادرنا المسرح ، وكانت سماء العراق قد سئمت الضباب والغيوم وانفجر المطر . . . متى ينعقد ضباب المسرح العراقي مطرا مبدعا ويتجاوز مشكلاته ؟ . .

تمطر . تمطر . نتجول في شوارع بغداد ، أتأمل تماثيلها في الليل والعاصفة ويخيل الي انها تتحرك راكضة نحو الارصفة لتحتمي بمداخل البيوت من البرد . نتحدث عن المسرح . اقول لصديقي انني اتمنى ان اشاهد المزيد من اعمال سامي عبد الحميد . يرد احدهما : انه من اكثر المخرجين موهبةفي العالم العربي وانه برهن على ذلك يوم اخرج مسرحية (بانتظار جودو) ومثل احد ادوارها . . يقول صديقي الآخر : هناك كاتب مسرحي هو طه سالم يجب ان تقرئي له . لديه نزعة سوريالية، ويعبر عن الحياة بشكل مشحون بالرموز ولكنه يحافظ في الوقت نفسه على القصة المسلية . . . انه يستقي مصادره من المواضيع الشعبية ويطرح من خلالها مواضيع عصرية . . . يجب ان تقرأي له . . . ويجب . . . ويجب . . . . واتذكر كم هي كثيرة الاشياء التي يجب ان افعلها . . . والاشياء التي اتمنى ان افعلها . .

ولكن . .

ولكن اعود من العراق .

لم يبق امامي سوى مراجع قليلة استطعت جمعها عن المسرح ، وابرزها العدد الخاص من « المثقف العربي » حول المسرح ، ودراسة بعنوان (البحث عن شخصية المسرح العراقي) كتبها الاستاذ ياسين النصير ، واعداد من مجلة المسرح والسينما العراقية ، وكتب الاستاذ يوسف العاني ومحاضرته (تجربتي في المسرح العراقي) . . .

Akhawia.net

وكلها تتضمن دراسات قيمة عن مشكلات المسرح العراقي و (المطبات) التي تحول دون تحليقه على صعيد الافتقار الى النص والتقاليد المسرحية والحرية والممثل والجمهور واللغة و . . . و . . . وفكرت في أن ألخصها . . . ولكن لماذا افعل ؟ . . . انها باختصار المشاكل نفسها ـ مع بعض الفروق النوعية الضئيلة ـ التي يعاني منها المسرح العربي بصورة عامة في كل قطر من اقطارنا . يكفي ان يتطلع كل قارىء عربي الى مآسي المسرح حوله ليدري بمآسيه في الاقطار الأخرى .

ورغم كل شيء . . تظل هنالك مواهب تضيء في ليل انتظارنا لفجر ، وتتألق مثل النجوم التي تبدد وحشة الانتظار ، بعضها ينتظم في درب محددة المعالم مثل درب المجرة وبعضها الآخر يضيء لبرهة ثم يلتهب ويسقط كاحتراق الشهب . . . وكل يمنح على طريقته . . . والفجر لم يعد بعيدا . . . أم تراه . . . ؟

Akhawia.net

لندن ٣١/ ٣/ ٧٢

في مدينة الشموع السود

لندن . وتهبط بي الطائرة في حقل الضباب الازلي . . . لندن . . .

وكانت لندن هذه المرة مدينة اخرى . . مدينة الشموع السود الغارقة في ثوبها المعتم المرشوش بالثلوج .

لندن . . .

جئتها احمل بيدي قلبا نزفه على الورق سطوراً وكلمات ، ابحث عن غرفة دافئة مضيئة اتكور فيها قرب الموقد واكتب . . . ووجدتني في قرية بلا كهرباء ولا تدفئة ، يقطنها ما يزيد عن ١٢ مليون انسان ، يهربون جميعا ، حينما تغيب الشمس ، الى جحورهم ، أو يسيرون في الشوارع المعتمة جماعات ، وحينما يسير فيها انسان وحيدا ـ مثلي ـ ، تجده يتلفت حوله بحذر كما في الغاب ويحاول عبثا ان يندس في رحم الازقة الحجرية خوفا من طعنة خنجر تمتد بها يد سارق او مجنون دموي . . فقد تزايدت حوادث العنف في فترة الاظلام الاجبارية هذه . . .

بدأت الحكاية حينما اضرب عمال المناجم في بريطانيا ـ الذين يزيدون على المليون ونصف المليون عامل ـ مطالبين بزيادة اجورهم . . وكانت النتيجة الحتمية للاضراب فقدان الطاقة الكهربائية وكل ما توفره من ضياء وتدفئة ... ورغم انني كنت قد سمعت بأنباء الاضراب قبل سفري ، الا أنني ظننتها كالعادة تحمل كثيرا من المبالغة من حيث نتائج الاضراب . . . وفوجئت بأن الانباء اقل مبالغة من الواقع . . . وبأن لندن غارقة تماما في بحر الظلام والصقيع ، كأنها غواصة واحدة كبيرة تمخر في ليل الوجود الى حيث لا أحد يدري ، وركابها يرتعدون بردا وخوفا . .

وها هي لندن تضيء كل مساء شموعها السود . . والشعب البريطاني يتابع حياته دونما تذمر بمسلكية مدهشة النضج والهدوء تثير اعجاب الغريب . .

وها انا ارقب كل ليلة غروب الشمس بخوف . . واقرأ في الصحف عن توقعات زيادة النسل بعد تسعة اشهر بسبب (رومانتيكية) ليل لندن ووحشته التي يهرب منها المتزوجون ـ وغيرهم ـ الى فراش الحنان مبكرين . . . واقرأ في ـ « الديلي ميرور » ـ عن

Akhawia.net

نشاط الـ ٤٠ الف ساحر الذين يزاولون نشاطهم في بريطانيا . . . ثم أهرب من هذا كله ، كل مساء ، الى مسارح لندن ودور السينما فيها التي حرصت في اعلانات الصحف على ابراز وجود محركات كهربائية خاصة في دورها تستطيع ان تؤمن التدفئة والنور متى شاءت . . .

عازف الكمان فوق القرميد

هو اسم لمسرحية غنائية صهيونية شاهدها ٣٥ مليون شخص منذ افتتاحها الاول في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٤ في نيويورك وفي العروض الكثيرة التي قدمت لها في ٣٢ دولة ! . . وها هي المسرحية تصير فيلما كبيرا يعرض في احدى دور سينما (الوست اند) ، في حي (توتنهام كورت رود) قرب مقهى (الهورس شو) بلندن . . .

وها انا اجلس في مقعدي اتأمل الفيلم الجيد ، واخنق في حلقي صرخة ألم مريرة . .

ها هو الفيلم يجسد ذكاء الدعاية الصهيونية . . وإبداعها . . . وقدرتها المدهشة على التضليل . . ويذكرني بتخلف اعلامنا العربي على الصعيد العالمي ـ حيث يجب ان يثبت وجوده ـ ، وبإطنابه في الثرثرة على الصعيد العربي الداخلي ، على صعيد المزايدات الكلامية والانتصارات الخطابية ، حيث لا حاجة لنا به ، لانه ليس هنالك عربي بحاجة الى الاقتناع بجرائم اسرائيل وبمأساة الشعب الفلسطيني .

يعتمد الفيلم اولا على ممثل مبدع ـ للاسف ـ اسمه « توبول » ، وهو اسرائيلي من مواليد تل ابيب عام ١٩٤٣ . وهو يمثل في المسرحية ـ الفيلم دور بائع حليب يهودي فقير في احدى قرى روسيا القيصرية ، متزوج وله خمس بنات اكبرهن في السادسة عشرة . . . وهو نسخة يهودية عن (زوربا اليوناني) ، فهو يحب الحياة رغم فقره ، ومثل (زوربا اليوناني) يعبر عن حبه للحياة بشربه للخمرة وبرقصة تمجيد للارض وللوجود يؤديها وهو ثمل (مثل انتوني كوين في فيلم زوربا الاغريقي) على الحان شبح يعزف على الكمان فوق سطوح اهل القرية اليهودية وقرميد بيوتها . .

واحداث الفيلم ـ بالاضافة الى شخصية الممثل الموهوب ـ تهدف كلها الى (تحبيب) الجمهور بشخصية بائع الحليب الذي من المفروض انه يمثل الشخصية اليهودية التاريخية . . . فهو متعلق بالتراث اليهودي اذ يقول في الفيلم (بدون التراث تصبح حياتنا مزلزلة مثل عازف كمان فوق السطوح) ، وهو يرتدي الثياب اليهودية التقليدية ويمارس الشعائر الدينية التي يعرضها الفيلم بشكل مقنع وخفيف الدم ، وهو ـ وهنا

Akhawia.net

المهم ـ مضطهد في المجتمع الذي يعيش فيه لمجرد انه يهودي . . .

وبعد ان يسرق الفيلم مشاعر المتفرجين وشفقتهم عبر حكايا حب تعيشها بنات بائع الحليب مع شبان فقراء ، وترفض كبراهن الزواج من أغنى رجل في القرية كي تتزوج من خياط فقير تحبه (هنا يضمن الفيلم مشاعر الرومانتيكيين) والبنت الثانية تصر على الزواج من شاب شيوعي وتلحق به الى سيبيريا حيث ينفيه القيصر (هنا يتسول الفيلم مشاعر اليساريين) ، وبعد حواره الحميم مع الإله (هنا يضمن الفيلم مشاعر المتدينين) ، وبعد ان يكاد يمس الجماهير على اختلاف مشاربهم (كما فعل فيلم صوت الموسيقى) وحتى مشاعر الليبراليين والفنانين يهزها عن طريق موسيقى الفيلم الجيدة واغانيه الجميلة ، بعد هذا كله تبدأ عقدة العقد التي هي الهدف الأساسي للفيلم : اثارة شفقة المتفرج الاوروبي وغرس مشاعر الاحساس بالذنب العالمي نحو اليهود المساكين المضطهدين في كل اقطار العالم ! . . فالنصف الثاني من الفيلم يرسم (وحشية) القياصرة في طرد بائع الحليب وعشيرته من قريتهم ومن بيوتهم ، وتشريدهم في الارض (بعد ان استهلك تماما موضوع اضطهاد النازيين لليهود ، رأى حكماؤهم ضرورة استبدال هذا الوتر بآخر مشابه) وينتهي الفيلم ببطله وهو يمشي في الثلوج حاملا على كاهله متاعه القليل ، وخلفه زوجته وبناته يسيرون بحثا عن قرية لا يطردون منها . . . وطبعا المقصود من نهاية الفيلم استجداء شعور العالم بضرورة وجود اسرائيل حيث يعود اليهودي الى (بيته الاول) الذي شرد منه طريدا في انحاء الارض . .

والفيلم ذكي جدا لانه في قسمه الاول ينجح في جعل بائع الحليب ممثلا للطيبين في الارض ، الرجال البسطاء الذين حياتهم كلها حب وعفوية ، حب لاسرتهم ، ولتراثهم ، ولرفاقهم ، وللطبيعة ، وحتى لاحصنتهم الكسيحة . . . وبعد ان يضمن المخرج الذكي للفيلم (سبق له اخراج فيلم : « الروس قادمون » و« في حر الليل » ، تمثيل سيدني بواتييه ورود شتايغر و« عملية توماس كراون » تمثيل ستيف ماكوين) حب الناس لاهل (الضيعة) اليهودية ، يرسم طريقة تشريدها بطريقة لا يملك امامها المتفرج الاوروبي الا التعاطف مع نموذج اليهودي المشرد المسكين .

ولو لم اكن عربية ، اعرف الكثير عن المذابح الاسرائيلية من قبل دير ياسين الى ما بعد جنوب لبنان ، لكان من السهل ان تخدعني لعبة الفيلم الذكية . . . اللعبة نفسها تمارسها الصهيونية الذكية على اكثر من صعيد في كل العواصم الاوروبية . . . نبيل المهايني كتب من روما في مقال له بعنوان (رد على الاتهامات الصهيونية) ينبهنا فيه الى ان

Akhawia.net

(الحاجة الآن ماسة اكثر من اي وقت مضى الى مضاعفة الجهود العربية في مجال الدعاية في العالم) .

وفي دراسة قيمة لاحمد محمد عطية بعنوان (الرواية الصهيونية اعلاميا . . من الحلم الصهيوني الى الحرب التوسعية) . نجده يقول : (الرواية الاسرائيلية مهتمة اساسا بوظيفتها الاعلامية والدعائية في تشويه الحقيقة لصالح الصهيونية ، وفي غسل مخ العالم ، وخلق وتشكيل الوجدان الاسرائيلي خلقا عنصريا وعدوانيا ، وهي في كل هذا انما تتطابق تماما مع اهداف السياسة الاسرائيلية والاعلام الاسرائيلي) . . . وهنا احب ان انوه لقارئي بأن أصل مسرحية ثم فيلم (عازف الكمان فوق السطح) مجموعة قصص ألفها (شولوم الايخيم) الصهيوني وتنطبق عليها المواصفات المذكورة اعلاه كلها . . ولما كانت الصرخات لتوحيد جهود الاعلام العربي وتصعيدها الى مستوى جاد كثيرة ، شبعنا من ترددها ، اكتفي بهذا القدر من ايراد واقع الاعلام الاسرائيلي الناشط والذكي،واسوقه (الى من يهمه الامر) ، اي الى الجميع .

أقذر استعراض في المدينة

مسرحية غنائية اسمها « أقذر استعراض في المدينة » وهي بلا شك (اسم على مسمى) ان لم تكن كثيرة التواضع في تقديرها لمدى قذارتها ، وهي تعرض في مسرح (الدوقة) في حي (الاولدويتش) ، القلب النابض لمسارح وصالات لندن . . . ليس فيها شيء من المسرحية او الغنائية . . . كل ما فيها ان ابطالها يظهرون على المسرح عارين تماما (كما في مسرحية هير) التي بدأت هذه البدعة مع اغنيات جميلة واستعراض مسرحي جميل ، ثم مسرحية (اوه كلكوتا) البذيئة التي جمعت العري الجسدي مع الرخص والتعهير للذوق وللحس الانساني ، و(هير) ما تزال تعرض في لندن منذ اربع سنوات ، اما (اوه كلكوتا) فما تزال تعرض منذ عام ونصف . وفي « اقذر استعراض في المدينة » مزايدة على العري والانحطاط الى درك حيواني يمجه الذوق السليم وحتى غير السليم . . ففي (هير) كان هنالك عري بريء كعري اطفال القطط في الغاب ، عري تلفه غلالات من الاضاءة المسرحية الذكية الملونة الظلال . . . ثم جاءت (اوه كلكوتا) تزايد على (هير) بعري وقح ، عار من غلالات الفن . . .

وها هي مغناة « اقذر استعراض في المدينة » تقدم لنا العري ببشاعة حيوانية بالاضافة الى ممارسة الممثلين على المسرح لما تمارسه القطط في الشوارع المعتمة في شهر شباط ، وبكل معاني الكلمة وامام عيوننا !! . . .

Akhawia.net

ان الوجودية واليمينية واليسارية والداروينية والماركنتلية والشوفينية والكافكية والابيقورية وكل ما يمكن ان يخطر بالبال من تسميات بريئة كل البراءة من تلك السوقية المسرحية التي لا علاقة لها الا بشيء واحد اسمه الرغبة في الكسب المادي . . . واية مناقشة جادة لهذا الاستعراض (البيولوجي) ، للعلاقة بين الذكر والانثى تسبغ عليها اهمية لا تستحقها . . . ولا اجد ما اصفها به الا كلمة الدكتور يوسف ادريس الذي رافقني الى المسرح مدفوعا بفضوله مثلي وخرج يقول ببساطة : « قرف » . . . وحزنت انا لخشبة المسرح هذه التي شاهدت على رقعتها بالذات الممثل الكبير نيكول وليامسون في دور مجنون غوغول (مسرحية يوميات رجل مجنون) ، ومزقت صرخته أذني منذ اربعة اعوام ـ وما تزال ـ وهو يصيح في وجه المؤسسات الاستهلاكية التي تمتص شبابه : اني وحيد وضائع . . . وحدقت في العمل البهيمي الذي يمارس امامي الآن على الخشبة نفسها وتساءلت :هل هذا هو الحل الذي يقترحه كاتب المسرحية وأحد ابناء مسرح (لا ماما) الاميركي ، لمآسينا الانسانية ؟ طبعا لا . انه ببساطة الحل الذي وجده لمشاكله المادية !

أجمل استعراض في المدينة

حديثي عن « اقذر استعراض في المدينة » يذكرني « بأجمل استعراض في المدينة » شاهدته في لندن . . . انه طريقة الشعب البريطاني في تقبل حرمانه من الكهرباء والتدفئة طيلة شهر كامل بسبب اضراب عمال المناجم . . . لقد تفهم الناس حق العمال في التعبير بحرية عن مطالبهم ، مع احتفاظهم ـ أي الناس ـ بحقهم في حرية الرأي حول مبررات هذا الاضراب او توقيته . .

اما بالنسبة الي انا الغريبة ، فقد كان اطفاء التيار الكهربائي حافزا يوميا للهرب الى الاماكن الوحيدة المضاءة باستمرار : المسارح والسينما والمستشفيات . . . وطبعا لم أجد ما افعله في المستشفيات ، وكان لا مفر من ان اقع على مسرحيات وافلام كثيرة بعضها رائع وبعضها فظيع . . . وسأتابع حديثي عن قلة منها لضيق المجال . . . ولا بد لي من ان اخص المسرحية الغنائية (كانتربري تيلز) ببعض السطور لان فيها مثالا رائعا لمعنى الافادة من التراث وبعثه في رداء عصري مشوق ، وفيها نموذج راق فكريا لما يسمى بالمسرح الغنائي الذي كثر الحديث حوله في بلادنا بعد ان أطلقه على مسارحنا الرحابنة (عاصي ومنصور الرحباني) واحبه الناس .

أحياء « تشوسر » بعد ستة قرون

مغناة (كانتربري تيلز) التي تقدم بنجاح منذ اربعة اعوام على مسرح (فوينكس)

Akhawia.net

بحي (شيرنغ كروس) بلندن مستقاة اصلا من عمل شعري ملحمي كتبه في القرون الوسطى شاعر انكليزي عظيم هو جيوفري تشوسر (١٣٤٠ - ١٤٠٠) وهو نوع من حكايا الف ليلة وليلة على الطريقة الانكليزية ! . . . وفيه يروي حكاية الحج الى دير « كانتربري » ، وحكايا الحجاج المختلفة التي يروونها لينسوا مشقة الطريق ، وفي هذه الحكايا تصوير حي لعصره كما فيها تصوير مدهش للطبيعة البشرية في كل عصر . .

ولما كانت هذه الحكاية الشعرية مكتوبة بلغة ذلك العصر - اي بلغة القرن الرابع عشر - فان قلة من دارسي اللغة الانكليزية والمختصين باصولها يلمون بهذا العمل او يقدرون على فهمه . . . وها هي المغناة تقدم للجماهير ذلك العمل الفني الخالد بلغة عصرية ، وفي اطار حي متحرك غنائي . . . وتتوفر بذلك للمغناة تسهيلات الحياة التكنيكية المسرحية مع غنى التراث ، ويتم بذلك تعريف الناس بكنوز تراثهم في اطار مشوق ينطق بلغة العصر لا بلغة الكتب الصفر . .

لقد اصدر (مارتن ستاركي) و (نيفيل كوغيل) كتاباً تضمن مختارات من قصص تشوسر هذه ، بعد ان اعادا كتابتها بلغة مقروءة حديثة ومفهومة ، كما ان اختيارهما للقصص مبني على رؤ ية عصرية عملية وواقعية . . ثم عاد « مارتن ستاركي » فأخرجها في هذه المغناة الناجحة . . .

ونحن ، متى ننتهي من مرحلة تحنيط التراث العربي ، فنعود الى كنوزه لنكتبها بلغة العصر ونخرجها للناس في مسرحياتنا واستعراضاتنا ونشاهدها على مسارحنا وشاشات تلفزيوننا ونكف عن التعامل معها كأنها مومياءات في متحف التاريخ ، لا تمس ، ولكن لا تفيد ولا تضر احداً ؟ . اقول هذا وفي ذهني عشرات الامثلة والصور من تراثنا الغني بالحكايا والاساطير : الاغاني للاصفهاني . . . حكايا ابن المقفع . . . مقامات الحريري والهمذاني وغيرها . . . كتب المبرد . . . حكايا الف ليلة وليلة . . . حكايا الجاحظ . . . وتاريخنا الادبي لا يضن علينا بالامثلة . . . من يبدأ ؟ . . . ومتى ؟

« كين راسل » والعنف الرخيص

مرة ثانية انتقل من المسرح الى السينما . . . واختار من بين عشرات الافلام التي شاهدتها الفيلمين الاخيرين للمخرج كين راسل اتحدث عنهما . . . لماذا كين راسل ؟ . . . لانه مخرج موهوب استطاع منذ فيلمه الاول (نساء عاشقات - عن قصة د . هـ . لورانس) ان يشد اليه انظار العالم من متفرجين ونقاد ، وفيلمه الثاني (عشاق الموسيقى) - الذي شاهدته بيروت ايضا في الموسم الماضي - وهو يتحدث عن حياة

Akhawia.net

الموسيقار تشايكوفسكي لقي ايضا نجاحا مماثلا رفع اسم كين راسل بسرعة الى مصاف كبار مخرجي العالم امثال برجمان وفلليني ولوزي وغيرهم . . .

بعد كل نجاح سريع وكبير كبير ، يكبر السؤال على شفاه المتفرجين وهواة السينما : وماذا بعد ؟ . . .

لذا ذهبت لأشاهد فيلميه الجديدين اللذين يعرضان في وقت واحد بلندن ـ اظن ان احدهما سيمنع عرضه في بيروت ـ واولهما اسمه (ذي بوي فريند) اي (الصديق) والآخر (ذي ديفلز) اي « الشياطين » . الاول اختار له بطلة ، عارضة الازياء الشهيرة « تويغي » التي تظهر لاول مرة على الشاشة . . . وجعل منها بطلة استعراضية ترقص وتغني في الفيلم . . . وقدم لنا فيلما استعراضيا سيئا بدأه بسخرية ذكية من الافلام الاستعراضية السيئة ، ثم سقط بعد نصف الساعة الاولى من العرض في الفخ الذي كان يسخر منه . . . اي تحول فيلمه الى فيلم استعراضي آخر يحوي جميع المساوىء التي كان ينقدها في اول الفيلم ! . . . و « تويغي » كانت رائعة حينما تصمت ولا تتحرك وتجمد كتماثيل واجهات مخازن الازياء . . . وكانت سيئة بالمقدار نفسه حينما تحاول ان تتحرك او ترقص او تغني . . .وتلك صفة لاتسيء كثيراً الى عارضة ازياء ، لكنها كارثة حينما تتصف بها النجمة الاولى لفيلم من المفروض انه استعراضي . . .

ولكن الكارثة الحقيقية هي فيلم (الشياطين) الذي اتوقع ان يمنع في بيروت ـ وان كنت ارجو مخلصة الا يمنع كي يعرض الناس عنه بانفسهم كما اعرضوا عنه في لندن وكاد الصمت يلفه لو لم تنقذه اشاعة عن منعه الوشيك . . . والشياطين (تمثيل فينيسا ريدغريف التي شاهدها جمهور بيروت في احلى افلامها « ايزادورا » وفيه تمثل دور الراقصة الشهيرة ايزادورا دنكان) فيلم كتبه واخرجه كين راسل ، ويقول انه استقاه حرفياً من قصة تاريخية واقعية . . . وهو يروي حكاية رجل دين شاب ووسيم تقع في حبه رئيسة دير للراهبات ويستحوذ حبه عليها وتهيم به كما هام قيس بليلى وجن . . . لكن جنونها على طريقة (كين راسل) كان مختلفا عن الجنون على الطريقة العربية القيسية . . . انها تحلم به ، وتضيع الخيط الرفيع بين الحقيقة واحلام اليقظة المشتهاة (اي تجن) وتعلن بأنه يأتي كل ليلة الى مخدعها . . . تتهمه باغتصابها . وتعاقب الراهبة علنا بحقنة فيها ماء مغلي في احشائها لتطهرها من الرجس ، ويتم ذلك امام جمهور من الراهبات والرهبان والرسميين وامام متفرجي السينما المساكين ايضا الذين يفرض عليهم مشهد سادي لا مبرر له يدوم اكثر من نصف ساعة . . . وتتوالى المشاهد السادية . . . نساء يعذبن بوضع العقارب في

Akhawia.net

جروحهن . . . وكيهن في اماكن حساسة ـ وكل ما في الجسد حساس للالم والتعذيب ـ ونرى اكداس الجثث في الشوارع ونسمع الانين والصراخ ، واخيرا تصبح راهبات الدير مسرحا لاستعراض سادي شاذ مروع .

ثم يتابع كين راسل وليمته الرهيبة بمشهد رجل الدين البريء وهو يعذب بتهمة كاذبة هي التسلط على الراهبات بالسحر ، ويبدأ التعذيب بثقب لسانه ثم بتحطيم عظامه بالمطرقة واخيرا بربطه الى عمود واحراقه حيا . ويختم كين راسل فيلمه الفظيع بتركيز عدسة السينما وعيون المتفرجين المساكين على الرجل وهو يحترق كي لا تفوتنا ابدا التفاصيل البيولوجية لاحراقه ، والقلائل الذين يبقون الى آخر الفيلم (كانت الصالة نصف فارغة حينما دخلنا وكانت فارغة تماما آخر الفيلم) يقفون بعد اشعال الاضواء دون ان يفهموا قصد كين راسل من ملحمته الميلودرامية السادية تلك ، ويظلون صامتين شاعرين بانهم خدعوا وأُسيء اليهم بلا مبرر ، واذا نطق احدهم فسيقول تماماً كما قال لي الدكتور يوسف ادريس بعد انتهاء الفيلم : « قرف . لا علاقة للفن الحقيقي بذلك كله . قرف ايضاً» .

والواقع ان إعراض الجمهور عن الفيلم هو خير ادانة له ، فهو يستجدي الجمهور بميلودرامية رخيصة فارغة من اية شحنة فكرية او مضمون انساني يبرر فظاعات العري وعمليات التعذيب . . .

وقلت للدكتور يوسف ادريس : كم انا مسرورة لانهم لم يمنعوا هذا الفيلم الفظيع . انه بحالته الراهنة سيموت تلقائياً ، ولكن في حال منعه سيصنع من كين راسل شهيداً . . . ولكن في اليوم التالي قرأت في صحيفة « الديلي ميرور » ان طلبا رسميا قدمه الاهالي وبعض الجمعيات والفئات لمنع هذا الفيلم السادي الفظيع (وهم على حق في وصفهم للفيلم لكنهم على غير حق في اختيارهم للعلاج) . . والدليل ؟ . . الدليل انني ليلة صدور الخبر في الجريدة قررت ان اقوم بتجربة عملية : ذهبت الى دار السينما في (بيكر ستريت) حيث يعرض الفيلم لاحاول قطع تذكرة ولم افاجأ حين علمت بأن المقاعد كلها مباعة (كومبليه) لقد جاء الناس وازدحموا لمشاهدته بعد ان تسربت انباء احتمالات منعه حتى نفذت التذاكر ، مع ان دار السينما كانت شبه فارغة قبل ذلك بيوم واحد . . .

انني ازداد يوما بعد يوم ايمانا بان مساوىء اطلاق حرية الفكر هي اقل من مساوىء كبحها . وهذه قناعة احب ان اعلنها واسجلها .

Akhawia.net

غواصة الشموع السود يحكمها السحرة

وقد زاد نشاط السحرة في لندن بعد ان هيأ لهم انقطاع التيار الكهربائي جوا مناسبا . . . وازدهرت جلسات تحضير الارواح ، وقد وجدت في زيارة بعض السحرة نوعا من المسرح الحي الذي لا يقل تسلية وعرضا لشؤون الحياة عن المسرح (المسرحي) . . .

والمعروف انه في بريطانيا اليوم ٤٠ الف ساحر وساحرة (وهو رقم استقيته من تحقيق صحافي هناك) ، وان ٣٠ الفا من اولئك السحرة هم سحرة (بيض) بمعنى انهم يعترفون بان الاله هو سيد الكون ، و ١٠ آلاف سحرة (سود) يعبدون (ساتان) الشيطان اله الظلام . . . ويقول (راي بوجارت) وهو من كهنة الشيطان مفسراً (شعوذته) : الشيطان(ساتان)هو ابن الاله ، وقد اوكل الاله شؤون الارض اليه ، وعلينا بالتالي ان نستقي منه القوة ، وانا من بعض كهنته ! . . .

وعن طقوس السحر الاسود ، التي سمعنا بان اهمها تقديم الذبائح الحية البشرية ، يقول :

اننا لا نقدم الذبائح البشرية ، لكننا احيانا نقدم ذبائح حية ـ في حالات خاصة جدا واضطرارية جدا ! ـ مثل الحمام والدجاج فقط ، وذبحها يتم بخنجر خاص بالطقوس ، وبجز رقبتها على المذبح على الطريقة القديمة . . . لكننا لا نقدم ابدا ذبائح من القطط او الكلاب (وهي حيوانات مدللة في بريطانيا اكثر من البشر) . . . فقط حمام ودجاج ! . . .

وبيت هذا الساحر وزوجته كاهنة الشيطان ايضا واسمها « جين » عادي وحياتهما مع طفلهما عادية ، لولا تلك الغرفة غير العادية التي يكسو جدرانها وسقفها لونان هما الاسود والاحمر . . . وفي احدى زواياها قدر كبير هو قدر السحرة الشهير . . . وهنالك خناجر خاصة بالطقوس الدموية . . . وهنالك خارطة لبريطانيا علقت قرب الباب وغرست في بعض مناطقها دبابيس فيها اعلام صغيرة حمراء ويقول الساحر انها تشير الى مناطق عبادة الشيطان الحالية (منظر الخارطة يذكر بالمهارة الحربية وبالجنرالات خلف خرائطهم ايام المعارك) والطقوس التي تدور في هذه الغرف كثيرة وعجيبة غريبة ، ولا ينفي (راي بوجارت) ان من بعضها التعري وممارسة الجنس مع الكاهن الاكبر وان كان ينفي ان ذلك يتم على مشهد من الجميع ! . .

ولعل اكبردليل على مدى انتشار موجة السحر في بريطانيا وايمان الناس بها ، هو تصريح احد رجال الدين بلندن وهوالاب كريستوفر نيل سميث (٥١ سنة)كاهن كنيسة في

Akhawia.net

حي هامستيد ، الذي اعلن بان عددا من السحرة جاءوا اليه وتابوا على يده بعد ان أجرى طقوسا دينية لطرد الارواح الشريرة منهم ، وهو يتحدث عن تجربته هذه فيقول انه يشعر بان الارواح الشريرة التي تستحوذ على السحرة ، تخرج منهم عبره ، وهو لذلك يصاب باعياء شديد وارهاق ويكده العرق بينما هو يطردهم مسلحا بكلمات الانجيل ! . . .

وربما كان من اطرف مظاهر الايمان بالسحر والمنجمين والابراج ان بعض ممثلي احدى المسرحيات طبعوا اسماءهم في الكراس الخاص بذلك والى جانب كل اسم ذكر كل ممثل برجه كنوع من التعريف بنفسه! . . .

وقد يأتي يوم نجد فيه الناس بلندن وقد طبعوا ابراجهم الى جانب اسمائهم في بطاقاتهم الشخصية ، وربما أيضاً في تذاكر اوراقهم الثبوتية وشهادات ميلادهم ودليل الهاتف . . .

لندن الغنية بمتناقضاتها

هذه بعض حكايا لندنية عايشتها خلال شهري المنصرم في لندن ، واحسست عبرها ان لندن هي نفسها في ضوء الكهرباء وفي ضوء الشموع وفي ضوء الظلام . . . لندن الغنية بمتناقضاتها . . . لندن الغواصة المجنونة الراكضة في بحر الشموع السود من حيث لا تدري والى حيث لا تدري ، وكل ما ومن فيها يصرخ على طريقته وينزف على طريقته . . . وبعد ، اليست الحياة هي « تلك البرهة القصيرة التي تفصل بين لحظتي الولادة والموت » ؟ . . . تلك الرحلة السريعة في غواصة أسرار الوجود بين ما لا ندريه عن ما قبل الولادة ، وما لا ندريه عن ما بعد الموت ؟

ولماذا يدهشنا بعد ذلك اي من تصرف ركاب الغواصة المجنونة اللندنية الضائعة او سواها ؟ . . .

Akhawia.net

زوريخ ١٢/ ٥/ ٧٢

مشردة في محطة الليل

واخيرا توقف القطار في « محطة الليل » وكان اسم الزمان « زوريخ » . . . وهبطت على رصيف الليل وحيدة ، احمل حقيبة شبه فارغة ، وفي جيبي نقود قليلة ، وفي اعماقي توق ثري للحياة والمفاجآت واكتشاف مدينة لم أعرفها جيداً من قبل تصادف ان اسمها هذه المرة « زوريخ » .

لم اكن اعرف احدا في المدينة . لم اكن اعرف لغة اهلها . كل ما اعرفه هو ان قلبي لم يكن مجرد مضخة . كان ارغنا مشدود الاوتار يمنح نفسه باخلاص لأصابع المجهول والمغامرة والليالي الغامضة كي تعزف على اوتاره الدامية رقصة الحياة الغجرية المجنونة الملتهبة . . .

وذهبت الى مكتب استعلامات « محطة الليل » وسألت عن مكان ابيت فيه . . . وارشدني رجل الاستعلامات الاعمى الى بيت للتلامذة (يوث هوستل) يؤوي امثالي من عشاق اكتشاف المدن والمجهول بثمن بخس . . . وبأي ثمن ! . . .

وبعد ضياع ممتع بين الباص والترام ، لا ادري كم طال ، وصلت الى بناء في ضاحية منعزلة هو ضالتي ، وقرعت الباب الكبير الموصد ، وطال انتظاري دونما جواب ، واخيراً اطلت المشرفة من نافذة سرية كما في القلاع وسألتني :

ـ ماذا تريدين ؟

ـ طبعا اريد ان انام .

قالت : هل تعرفين كم الساعة ؟

ـ طبعا لا ، لأنني لا استعمل ساعة ، وكل رحيلي هو رفض لعالم توقيته الوحيد ضربات الساعة لا ضربات قلبه .

قالت : ابواب « البنسيون » تغلق في الحادية عشرة تماما ولا يمكن تسجيل احد بعد هذا الوقت . وهي الآن الحادية عشرة وثلاث دقائق . تعالي غدا صباحا في السادسة حيث تفتح الابواب . واوصدت نافذتها ونافذة الحوار .

وكان الليل جميل البرد ، وبتعبير اصح كان ليلي انا جميلاً . . . وكنت سعيدة

Akhawia.net

بحريتي ، سعيدة بتشردي الاختياري ، سعيدة لمجرد انني احيا واجرؤ على ان اكتشف هذا العالم الواسع المذهل . . . بدت لي زوريخ من التلة الصغيرة حيث (دار الشبان) مسكبة من الازهار المضيئة الملونة ، والنهر يخترقها في الوسط كسيف تاريخي عريق مطعم بالجواهر على حديه . . . سيف يسحر دون ان يقطع . . . وجلست على حقيبتي اتأمل بصمت هذا الكون المدهش ، والسماء المضيئة بالنجوم بعد ان كف الثلج تماما عن الهطول ، وسمعت ما يشبه عواء الذئاب والثعالب ، واحسست بالألفة معها . . . ومع كل ما تضمه هذه الطبيعة العظيمة من مخلوقات . وكما ينام اكثرها في العراء ، وجدتني افتح حقيبة سفري ، واستخرج منها كيس النوم الخاص (سليبينغ باج) - وهو لحاف مبطن بالصوف وله شكل الكيس يدخل النائم فيه ويشد سحابه الحديدي ليغلقه وينام بداخله متمتعاً بالدفء . . . ودخلت الى حقيبة سفري ورددت علي غطاءها واستسلمت للتعب اللذيذ والراحة الداخلية موجة تحملني الى عالم الخدر العظيم (والموت المؤقت) الذي خلده شكسبير في اشعاره ، واسمه النوم . . .

نمت كما لم انم قط من قبل . لم يكن هنالك سقف . لا يد تمسك بيدي . لا موقد . لا جدران . لا حراس . ولا جرس منبه . ولكن كان هنالك النوم العريق ، الممتع ، العميق ، المجدد ، ينبع من اعماقي نهرا من الغبطة والنشوة استرخي لامواجه وارحل معها الى حيث لا ادري .

واستيقظت صباحا على اصوات ضحك الشبان والفتيات الخارجين باكرا للتزلج على الجليد . . . ووجدتني قد نمت طوال الليل فوق بركة من جليد . . . وحينما حاولت الخروج من كيس النوم عجزت لان الهواء الرطب الماطر تجمد داخل مسننات (السحاب) وصار من المتعذر فتحه . . . ووسط غيمة من الضحك والهتاف باللغة الالمانية التي لا افقه منها شيئاً استطاع الشبان تخليصي من الرحم الجليدي الذي وجدتني سجينة فيه . . . وعبثا حاولت اقناعهم بان فراش الجليد هذا هو اعظم من اي فراش (سليب كونفورت) نام عليه اي امبراطور، وان النوم ينبع من الداخل نهراً من الاسترخاء لا من ريش النعام الخارجي . . .

تذكرت فراشي الجليدي هذا وانا اقرأ اليوم في احدى المجلات الاجنبية عن فضائل ومحاسن الاختراع الحضاري الاخير العظيم (فراش الماء) كوسيلة لدحر مرض (الارق) مرض العصر . . . وعن انتشاره في اميركا . . .

وانه بعد اختراع الحبوب المنومة والمهدئة وارتفاع مبيعاتها في السنوات الاخيرة الى ارقام خيالية ، طلع علينا العلماء (اي المنتفعون من عجز انسان العصر عن النوم بعد ان

Akhawia.net

سببوا له الارق بانفسهم ، باختراع جديد هو (فراش الماء) . . . وهو عبارة عن فراش بلاستيكي يملأ بالماء بدرجة ضغط معينة ، ويقال ان له مفعولاً عجيباً في مساعدة الجسد على الاسترخاء . . . وقد يطلعون علينا ايضا باختراع فراش الزئبق ، وفراش الهـواء ، وفراش الحصى (شاهدت اريكة من هذا النوع في بيت الاديب جبرا ابـراهيم جبـرا في بغداد) وهي تأخذ شكل الجسد وتحنو عليه كيفما تحرك لتملأ اي فراغ يخلفه جسده على الاريكة وتمنحه حسا بالعناق والطمأنينة كفراش الماء . . . ضحكت طويلاً وانا اقرأ حكاية (فراش الماء) هذا واتذكر (فراش الجليد) اختراعي الخاص .

ها هو انسان العصر يركض في شوارع الزمن مرهقاً ممزقاً باحثاً عن « النوم العذب » (كما يسميه شكسبير) ، والعلماء يركضون خلفه بالاقراص المنومة والمهدئة وبفراش الماء المقطـر . . . كلهـم يداوي الارق من الخـارج . . . كلهـم نسي ان النـوم هو نبـع الماء السحري الذي يجب ان يتفجر من داخل الانسان ومن اعماقه المنسية ، لا بفراش من الماء يزودونه به من الخارج . . .

كلهم نسي ان انسان العصر ربما قد اغتال النوم (كما اغتال ماكبث النوم يوم اغتال انسانيته) .

ترى هل اغتال انسان العصر النوم نهائياً ؟ . . .

وهل نجد في المتاحف بعد مئة عام تمثالا لانسان دخل التاريخ لانه استطاع ان ينام كل حياته دون ان يتناول قرصا مهدئاً واحداً ؟ .

والعلم الذي استطاع ايصال انسان الى سطح القمر هل يقدر على أن يجعل ذلك الإنسان ينام فوق سطح القمر بملء جفنيه دونما عقاقير منومة ومهدئة . . . ذلك النوم العتيق العظيم الذي اكتشفه الانسان في مغاوره الحجرية وضيعه اليوم على دروب القمر ؟ . . .

Akhawia.net

فيينا ٢٥/ ٨/ ٧٢

لؤلؤة الدهشة !

ربما لانها المرة الاولى التي ازور فيها فيينا ، وكل « مرة اولى » مسكونة بالدهشة .

وربما لان فيينا هي نفسها لؤلؤة الدهشة الدائمة في صدفة التاريخ ، وجدتني اقضي ايامي في فيينا كمن به مس . . . ادور في حدائقها ، في متاحفها ، في معارضها الفنية الفائقة الغنى ، انصت الى احاديث آثار مبدعيها امثال جوته وشيللر وشوبرت وموزار . . . حتى الجدران في فيينا تنطق . . . وانقل اليكم على سبيل المثال حوارا سمعت اصداءه ترددها جدران السلم الضيق الذي عليك ان ترتقيه كي تصل الى بيت كان يسكنه بيتهوفن العظيم ـ شكسبير الموسيقي الخالد ـ وشقة بيتهوفن تقع في بناء متعدد الطبقات وما زالت بقية شقق البناء مسكونة بمحام وخياط وحلاق شعر . . . واحجار السلم مهترئة متآكلة ، وعليك ان تصعد عشرات منها حتى تصل الى بيت بيتهوفن ـ اذا لم يغم عليك . . . وحينما تتذكر ان بيتهوفن الذي كان عليه ان يصعد هذا السلم مرة في اليوم على الاقل كان مريضا ، يخترق قلبك سهم من الحزن من اجل ذلك العبقري . . .

وتظل تصعد في السلم الدائري كسلم منارة ، ويخفق قلبك : تقترب منك الجدران وتكاد تطبق عليك وتسمعها تنزف الحوار التالي الذي لا بد وانه دار عشرات المرات بين بيتهوفن (المستأجر)وصاحب هذا البناء . . .

صاحب الدار الملاك يصرخ بالمستأجر الفقير المتسلل الى شقته : بيتهوفن . . . متى تدفع اجرة شقتك ؟ . . . لي عندك اجرة اسابيع عديدة ، واذا لم تدفع قذفت بك الى الشارع . يسعل بيتهوفن . انه مرهق وقد بذل كل جهد كي لا يسمع صاحب البيت لهاثه وهو يتسلل الى شقته ويردد متعبا : عذرا . . . لكني نسيت كل شيء عن النقود . . . فأنا مشغول بكتابة السيمفونية التاسعة . . . ويصرخ به صاحب الدار : لا تهمني السيمفونية التاسعة او العاشرة . . . اذا لم تحضر غدا بين التاسعة والعاشرة لدفع الايجار ، سأتصل بالبوليس ليرمي بك وبأوراقك القذرة من النافذة . . .

سمعت هذا الحوار . . . وسمعت عشرات مثله في شوارع فيينا . . . اليكم هذا المثل الآخر . . .

Akhawia.net

شاهدت جنازة مرت فوق احجار الشارع القائم امام « متحف موزار » منذ اكثر من قرن.بالضبط شاهدتها عام ١٧٩١ . . . وسمعت رجلاً في الطريق يسأل آخر : مسكين هذا الرجل الميت . . . لا ريب في انه مجرم او قاطع طريق او ابله معتوه لانني لا ارى في جنازته اكثر من ثلاثة اشخاص . . .

ويرد الآخر : اظن انها جنازة شخص يدعى موزار وهو رجل ظل عاطلاً عن العمل طول حياته يتسلى بعزف تلك الآلة . . . ما اسمها . . . اجل . . . البيانو . . .

سمعت عشرات مثل هذا الحوار في كل مكان تكرم فيه فيينا خالديها وما اكثرهم . . .

موزار الذي لم يسر في جنازته اكثر من عدة اشخاص ينتصب اليوم تمثالا في احدى الساحات . . . ومتحفاً يطل على الساحة ، وعشرات من الفنادق والمطاعم سميت باسمه في كل ارجاء فيينا . . .

اذن ظاهرة اضطهاد الخالدين خلال حياتهم - على الاقل اهمالهم - ثم (توثينهم) بعد مماتهم ليست ظاهرة عربية فقط ، وانما هي ظاهرة عالمية وتقليد قديم . . .

ربما كان السبب ان الفنان هو بحكم طبيعته كفنان عاجز عن صب نفسه في القوالب الاجتماعية المرغوبة والصيغ الوظيفية التي قد تدر عليه نقوداً . . . انه متمرد ، جامح ، مدمر للأطر القائمة ، شديد الحساسية امام اوبئتها ، ولكن الطبيعة ، لا تزود الفنان بجسد خاص التكوين - كما تفعل مع ملكة النحل التي اعدتها للعب دور خاص - وهكذا نجد الفنان محملاً برسالة غير اعتيادية وخارقة ، ولكن دماغه المختلف مركب على جسد كأجساد الآخرين . . . وينهار الجسد وسط معركة رفضه ورفض الآخرين له . . .

وبعد ان يمضي جسده . . . وتنتهي مسيرته في درب الآلام ، يبدأون بعملية تخليده . . .

الفنان دوما مرفوض خلال حياته . . . والفنان يلقى دوما من يكرمه بعد مماته ، (كأنهم فرحون بخلاصهم منه !!) . .

اقول ذلك ، وفي ذهني عشرات السطور التي كتبها كثيرون حول كاتب قصة فلسطيني لقي مصرعه مؤخرا . . . ولم يكتب ايهم كلمة طيبة في فنه خلال حياته . . . ولو طلب اليهم ان يكتبوا عنه قبل ان يعرفوا بمصرعه لكتبوا اشياء مختلفة تماماً . . .

كم هو طريف ذلك الكائن من فصيلة « الهوموسابيان » الذي يلقب نفسه

Akhawia.net

بالانسان . . . كم هو مضحك ومخز في مواقفه من عباقرته الذين استطاعوا بفكرهم تجاوز (فصيلتهم) ولكن جسدهم ما زال عاجزاً عن التحرر من قيود الجوع والمرض وبالتالي ديكتاتورية ذلك الورق الملون المسمى بالنقود والذي يتحكم في تجوله او (منع تجوله) عن جيوب البعض ، اشخاص بعيدون عن تفهم الفنان وعن عوالمه وعظمته . . . اشخاص يرون في الفنـان ما يهـدد وجودهـم المكرس . . . اليس كل فنـان حقيقـي ثائراً بالضرورة ؟ . . .

* * *

حين يهاجم الحر فيينا يفقد اهلها صوابهم . (واعني هنا بالحر طقس مثل طقس بيروت خلال الصيف ، وهو امر يحدث نادرا في فيينا) . . ولكنه حين يقع ، تجد نفسك في حمام سباحة كبير . . . اذ تمتلىء الشوارع بالناس وقد ارتدوا جميعا ـ نساء ورجالاً ـ ثياب البحـر ، ان كانوا محافظين ، او ورقة توت (كروشيه) مليئة بالثقوب كأنما التهمتها دودة قز مشرفة على الموت جوعا .

والغريب ان الطقس يتبدل بسرعة هناك كأن السماء لا ترضى عن تحول فيينا الى ناد كبير للعراة ويبدأ المطر في الهطول . . وتجد نفسك فجأة في مدينة اهلها عراة وسماؤهـا تمطر . . . اطرف ما في هذا المشهد منظر امرأة شبه عارية في المطر يرافقها كلبها ، وقد حرصت على ان تحمل مظلة له هو . . . والمظلات الخاصة بالكلاب ـ للمرة الاولى اراها هناك ـ مثل مظلات البشر لكن مقبضها في الجهة المعاكسة بحيث يستطيع الانسان حملها من الاعلى وتوجيهها نحو الاسفل حيث يتحرك الكلب السعيد . . .

■ ارتميت على الحشائش في (شتاد بارك) وخيل الي أنني أحيا حلما خرافيا . . .

فعلى الحشائش حولي مئات من الناس ، كلهم يستمع الى الموسيقى التي تعزفهـا اوركسترا جيدة كل ليلة في هذه الحديقة العامة وفي بقية حدائق فيينا . . . ومجانا . . .

غبطت اطفالهم الذين يتعلمون منذ صغرهم الانصات الى روائع بيتهوفن وهـايدن وفاجنر وباخ وحزنت من اجل اطفالنا الذين يفتحون عيونهم على اغاني مثل (الطشت قلي قومي استحمي) و (عالبطاطا البطاطا) .

■ في قصر (شونبرون(الامبراطوري الذي هو الآن متحف، هنالك قاعة واسعة هي التي عقد فيها « كونغرس فيينا » حيث تقرر مصير العالم بعد هزيمة نابليون . . . في السقف ثلاث لوحات مرسومة ، واحدة تمجد السلم . . . واخرى تمجد الحرب . . . .

ومن غريب الصدف انه اثناء الحرب سقطت على السقف قنبلة دمرت فقط اللوحة

Akhawia.net

التي تمجد الحرب !! . . .

■ بعد فيينا قضيت مزيداً من أيام التشرد في أوروبا ، وحينما عدت الى بيروت وجدت رسالة في انتظاري ويدل طابعها انها من فيينا . . .

كانت رسالة من الفندق الذي اقمت فيه هناك ، تعتذر مني لخطأ في الحساب وتعيد الي مبلغا من المال تقاضوه مني دون حق . . .

غضبت كثيرا لظاهرة الامانة هذه، التي ذكرتني بحدة انني من شعب اعتاد على ان يسرقوه ، وحاميه حراميه ، حتى صار يجد في الامانة ما يدهش ، وما ينكأ جروحه .

واعدت اليهم المبلغ مع رسالة تأنيب على امانتهم !! . . .

Akhawia.net

لندن ١٣/ ٧/ ٧٣

التعذيب بالموسيقى

لندن من جديد .

لندن عروس الضباب المعمدة بدم المراهقين ، المقتولين بسكين الضياع فوق مذبحها . لندن خابية اللهو التي انكسرت وتركت في الشفاه جراح حطامها . . . لندن ذات القلب المعلب الذي يضم في جوفه ١٢ مليون سردينة بشرية معذبة بالوحشة والشهوانية وموت الحب . . .

لندن من جديد . . .

والطائرة تجتاز فرنسا ومضيق « المانش » والشمس التي كانت تقطن جانحها الفضي طوال الطريق تختفي . ندخل في شرنقة الضباب التي تلف لندن ابدا ، لتساهم في تكريسها كوكبا قائما بذاته له جنونه الخاص وحتى غلافه الفضائي الخاص الذي عبثا يخفي عن العيون ما يدور في تلك المدينة التي فقدت رشدها حين بلغت سن الرشد .

الضباب تصطدم به بطائرتك في سماء لندن ، وتصطدم به كيفما تحركت في شوارعها واقبيتها وكهوفها . . انه يغلف العلاقات البشرية هناك بالغموض والبرود . . . انه يتربص بك عند منعطف كل قضية انسانية تلاحقها ليكشف لك ان دربا اخرى تكمن خلف الدرب التي ظننتها خاتمة المطاف . . .

الشيء المشترك بين الحقيقة المطلقة ولندن هو الضباب . . كلتاهما تقطن في رحم الضباب وتحس امامهابالعجز عن الامساك بحفنة واحدة نهائية من المعرفة . . .

ومعرفة لندن امر مستحيل . . . انها غنية بالمظاهر البشرية المتعددة التي تستحيل الاحاطة النهائية بها . . . وكل ما يملكه انسان مثلي اقام فيها سنوات ويعود اليها كلما سنحت له الظروف هو ان يرصد بعض مظاهرها المتناقضة ، الثرية العرض للمهزلة الانسانية ، وان يحاول اكتشاف المزيد من وجهه الحقيقي الممزق في مرآتها المحطمة . . . وفي لندن دائما (جديد) تستطيع ان تزودك به . . جديد عن الفن ، عن الفضيحة ، وعن ذاتك . . .

جديد الموسيقى الالكترونية هو تكريسها شبه النهائي كجزء من الموسيقى

Akhawia.net

الكلاسيكية العالمية . . .

هل استمعت الى الموسيقى الالكترونية المعاصرة والى «الكلاسيكية الحديثة » ؟ . . . الى « بيلا بارتوك » مثلا كبداية ، ثم الى « روبرتو جيرهارد » ؟ . . . لا ؟ ولا انا . تعال معي الى قاعة (رويال فستيفال هول) نستمع اليها . . . في البرنامج مقطوعة جيرهارد (متيامورفوسز) ثم السيمفونية الثانية لتشايكوفسكي وبعدها كونشرتو رقم ٣ لبيتهوفن . . واذا لم تعجبنا الموسيقى الالكترونية يظل لنا في بيتهوفن خير عزاء . . .

وبدأ العزف او ما يدعى مجازاً بالعزف . . وجدتني في الحقيقة مثل شخص دخل خطأ الى دكان حداد نشيط يهوى استعمال المطرقة . . هكذا بدأت (سيمفونية) (الميتامورفوسز) . . ومع (الحركة الثانية) للسمفونية شعرت بأنني في مستشفى للمجانين اهدوا كل مجنون فيها طبلا وصنجا . . . اصوات متنافرة وضجيج يصم الآذان حتى لتظن ان هنالك تواطؤاً بين اطباء الاذن والموسيقار من اجل زيادة زبائنهم . . . والعرق يتدفق من وجوه العازفين ومن وجوهنا ايضاً . (ألم يخطر لاحد من زبانية المخابرات والتعذيب استعمال الموسيقى « الاولترادمودرن » كوسيلة فعالة لانتزاع الاعترافات ؟) ثم يهدأ اللحن قليلاً - ربما كي يستريح (عمال) العزف - ونسمع اصواتا تشبه سقوط قطرات الماء من حنفية جهنمية منسية ، اصواتا تذكر بنزف شريان هائل في الظلام ، ونسمع اصواتا (ولا اقول موسيقى) مثل تحطيم آنية زجاجية كأن ثورا هائجا انطلق في مخزن صيني للخزف مدمراً كل شيء تحت حوافره . . ثم تعوي الابواق وتذكرني بجار لي كان يحاول عبثا ان يتعلم العزف على (الترومبيت) واكاد اظنه بينهم ثم تعوم اصوات شبحية نشازية . . ويقول الناقد «دافيد درو» ان في اعمال «جيرهارد» (مؤلف نوبة الهستيريا المسماة سيمفونية) اصداء الرياح في الغابات . . وفي الحقيقة لم اسمع شيئاً من هذا ولست خجلة من الاعتراف بذلك (بل اشتهيت ان اسمع في تلك اللحظة اغنية قديمة قديمة لعبد الوهاب اسمها : « انا هويت وانتهيت » بدلا من كل هذا الزعيق « الحضاري ») . .

وخرجت في الاستراحة الى شرفة (الرويال فستيفال هول) بحثا عن السكينة . كان نهر « التايمز » مثل نهر من الرماد ، المنصهر كالذكريات الحارة الراكضة الى بحيرات النسيان . وعند الشاطىء الاخر للنهر بدا في الغروب الشاحب (سيلويت) لندن القديمة الجميلة بقبابها المدببة وابنيتها الادواردية والاليزابيتية الرشيقة . وبدا جسر « واترلو » حيث تبادل اثنان من عشاق التاريخ (اللورد نيلسون وحبيبته) اشهر قبلة في دفتر الحب . .

Akhawia.net

ولكن الابنية الحديثة الاسمنتية الهائلة الضخامة والبشاعة كانت تحاصر ذلك العالم الشفاف القديم كله ، تحاصره وتأكل اطرافه وعما قريب تأتي عليه بأكمله . . « جيرهارد » يحاول اكل بيتهوفن ، ولندن عصر « الهيبيز » تأكل لندن « نيلسون » ، والغروب يأكل يوماً آخر . . . واهرب من ذلك كله لاتأمل مدخنة فضية هائلة الحجم غريبة الشكل بشعة وتذكرت رشاقة المداخن القديمة الخارجة من سطوح القرميد ، وفاجأني الصديق الذي كان يرافقني مشيراً الى المدخنة قائلاً : هل يعجبك هذا التمثال ؟! . .

وسكت وانا أذكر بحسرة رشاقة اعمال «مايكل انجلو» و «برنيني» وتساءلت بهلع : الفن الجديث ، المعاصر ، هل هو فقاعة غضب ام تراه يخلد ؟ . .

فقد سألني صديقي عن رأيي في موسيقى « جيرهارد » التي سمعناها للتو ، وكدت اقول له فوراً : « أنها رهيبة . . مزعجة . . مليئة بضجيج سخيف مفتعل » . .

ولكنني تذكرت ان النقاد استخدموا هذه العبارات حين هاجموا منذ قرن ونصف القرن موسيقى بيتهوفن ، بالضبط سيمفونيته الثالثة (هيروييكا) ، ورشقه الجمهور يوم الافتتاح بالبيض والبندورة والشتائم . . نحن اليوم نستمع الى تلك السيمفونية الخالدة ولا نشبع ، فقد كان كل ذنب بيتهوفن يومها انه سبق عصره بقرن من الزمن . . ترى هل « جيرهارد » من هذا النوع ؟ . .

وهنا وعيت بشدة قصور الناقد في احكامه وجزئية عملية النقد وعدم اكتمالها حتى في اكثر الحالات حياداً ـ فالناقد مثل قاض يحكم في قضية اهم عناصرها غير متوفر وهو عنصر الزمن . . الزمن وحده هو الذي يغربل العطاء ، وهو وحده الحكم النهائي . . تذكرت ان كونشرتو الكمان (رقم ١) لتشايكوفسكي التي تعتبر اليوم اجمل اعماله واكثر الاسطوانات الكلاسيكية شعبية في العالم ، قال عنها صديق تشايكوفسكي (الحميم) « نيقولاي روبنشتاين » حين رفض عزفها عام ١٨٧٤ : « انها بلا اية قيمة ولا تستحق مجرد العزف . انها سيئة ، تافهة ، سوقية ، مفككة ، فقيرة فنياً » . . . واليوم تسحر انغامها العالم ويسخر الناس من اقوال روبنشتاين (الصديق) . . .

ربما لذلك صمت ولم اقل شيئاً عن رأيي في موسيقى « جيرهارد » (توفي عام ١٩٧٠ ويعتبر من رواد الموسيقى الالكترونية المعاصرة وله حالياً تلامذة كثيرون يتابعون خطه ومدرسته) . . ولذا أحب ان اذكر قارئي بأنني ادون (انطباعاتي الشخصية) عن الموسيقى الالكترونية التي قد تكون خاطئة بعد مئة سنة . . . فالعدالة هاجسي ، ومن هنا

Akhawia.net

ارفض اطلاق الاحكام النهائية . . . والزمن هو في نظري الناقد الوحيد العادل .

واذا كانت لندن مدينة المكتبات والمعاهد والمسارح والمتاحف فهي ايضا مدينة الفضائح . . .

ويبدو ان لندن نسيت بسرعة فضيحة لورداتها مع فتياتهم وبدأت بنشر غسيل قذر جديد على حبال صحفها . . .

الفضيحة التي انفجرت مؤخراً هي فضيحة « صالونات المساج » . . .

فقد ذهبت منذ اليوم التالي لوصولي الى مكان كتب على بابه (سونا ومساج) بعد ان تذكرت ان اول واخر « مساج » (التدليك) لي كان منذ خمسة اعوام حين كنت ما ازال اقطن لندن ، وتذكرت انامل (الماسور) المختص الاعمى التي عرفت كيف تمتص الارهاق من جسدي ودماغي كما الابر الصينية . . دخلت وقد فوجئت بتبديل هائل في المكان والديكور . استقبلتني فتاة ترتدي ثياباً (رمزية) لا تخفي شيئاً من جسدها وانما تشير الى مواطن (الثقل) فيه ، وسألتها عن الرجل الاعمى القديم فقالت انه ذهب والادارة تبدلت . وقلت لها : حسنا ، سأرضى بالموجود . نظرت الي بدهشة كأنني اطلب شراء شحنة من المخدرات ، وظننتها تستنكر تحولي الذي ليس بحاجة الى « سونا » وانما الى فيتامينات ووجبة دسمة . واعتذرت مني بلطف قائلة ان النهار كله محجوز . وخرجت بسرعة حين لاحظت ان في ركن المكان (قبضاي) ازاح قبعته الى الوراء وتفرس بي بعينين (مافيتين) فيهما تهديد سري كما لو كنت جاسوسة . . او صحافية . . . .

وهربت من كهارب الشر التي كانت تتفجر من المكان الذي يفترض انه وجد لإراحة الاعصاب والجسد . .

وفي اليوم التالي ، قرأت في الصنداي تايمز تحقيقا من اربع صفحات كتبه صحافي (فدائي) اسمه « راسل ميللر » وكشف فيه حقيقة ما يجري في هذه الصالونات ، وتجرأ على ان يعلن في الصحف ما يعرفه الجميع في « سوهو » ولندن ويتكتمون عليه خوفاً من « المافيا » التي تدير اموره . . . فبعد تجارة الرقيق الابيض والمخدرات والسموم بدأت تجارة السونا ، وصارت مراكز « للاشعاع » الجنسي وغير ذلك . . . تحدث المقال عن « مافيا » الجنس في حمامات السونا ، وان كل ٥ من ستة صالونات سونا ومساج ضالعة في حكايا الرذيلة . . وقد ذهب الصحافي بنفسه الى اكثرها المتمركزة في سوهو . على الباب تدفع (٢ باوند) اجرة دخول . ثم تأتي (فتاة التدليك) وهنا تطلب منها تدليكا خاصا اسمه المهذب : « تدليك استرخاء » . . . وتطلب منك اجرا يتفاوت بين ١٠ و ٦٥ باوند

Akhawia.net

وفقا لمؤهلاتها الجمالية وخبرتها ، ويتناسب اجرها عكساً مع حجم ثيابها . . يكبر اذا تضاءلت وشفت . . واذا كنت من رجال البوليس فان ادارة (الصالون) سترفض الاعتراف بتواطئها مع الفتاة وستدعي ان تصرفها فردي ويتم طردها فعلا من الصالون ، وفي الحقيقة يتم نقلها الى صالون آخر من الشبكة الجهنمية المتغلغلة في لندن . .

واذا تحدثت على باب الصالون عن الجنس مباشرة رفضوا الحوار معك . ولكن بعد ان تدخل تستطيع التفاهم مع فتاة « المساج » مباشرة . وبذلك ينجون من البوليس ويتحايلون على القانون . . .

ويروي الصحافي انه تحدث الى ممثلة سابقة اسمها « ساندي دورس » على الهاتف بعد ان علم انها تعمل في حقل المساج وانها ابدت له قرفها وهلعها مما انغمست فيه وضربت له موعدا لليوم التالي . ولما ذهب اليها في اليوم التالي وجد انها اختفت ، ولما سأل عنها قالت له (مديرة) المكان انها لا تعرف فتاة بهذا الاسم . وحين جابهها بأنه حاورها تلفونياً في اليوم السابق فقط على رقم صالونهم ، حينئذ فقط تراجعت قائلة : آه . . . تلك الشقراء . . لقد نسيتها . . . على اية حال لقد تركت العمل هذا الصباح ولا نعرف عنوانها ويضيف الصحفي : وربما كانت راقدة في اعماق « التايمز » بصمت ابدي وقد ربط الى جسدها حجر ثقيل ! .

. . . وربات البيوت

والفساد حين يصيب ثمرة ، لا بد وان يصيب بالعدوى بقية الثمار . .

وفي حين نجد (الصنداي تايمز) تقود الحملة على (سونا الجنس) في لندن ، نجد (الصنداي ميرور) تستعين براقصة تعرية (ستربتيز) لتعطي دروسا للزوجات والفتيات في كيفية خلع ثيابهن باغراء واثارة ! . . وبعد ان كنا نقرأ في صفحات المرأة وصفات لكيفية صنع الطبق المفضل للزوج او العناية بالاطفال ، وبعد ان كانت تستضيف اديبة او ربة منزل او استاذة جامعية صارت هذه الصحف تستضيف راقصة « ستربتيز » من سوهو لتلعب دور بروفسورة الجيل . . .

ومن الطبيعي ان تخرج سوهو مركز (السونا الجنسية) بروفسورات في هذه المجالات . . .

غادرت سوهو المليئة بالف ضوء نيون مشع ، وآلاف العيون المنطفئة ، وعند مدخلها لاحظت وجود مقبرة اسمها (سانت آن شيرش يارد) وحولها سور معتم ، واحسست بأن السور يجب ان يعاد بناؤه بحيث يضم المقبرة الكبيرة بأكملها : سوهو . .

Akhawia.net

وفي (بيكاديللي سيركس) تتوالى مواكب التيه . . .

ها هو صف طويل من الناس امام باب سينما ، وقد وقف شاب يعزف مكونا اوركسترا كاملة . . . ربط ذراع الطبل الى قدمه الاولى يقرع الطبل حين يحركها ، ويعزف بالاكورديون ويرافق ذلك ضربات صنج مربوط الى قدمه الاخرى . . ويزداد احساسك بانك في مدينة الجنون حين تمر بك كوكبة من الفتيان الشقر هم من اتباع (كريشنا) يغنون هالي كريشنا ويعزفون على آلات هندية ويرتدون « الساري » ويسيرون حفاة وقد حلقوا شعرهم تماما ما عدا خصلة تتدلى من الخلف مربوطة من الاعلى ، وهنالك فتيات ثقبن انوفهن ووضعن فيها حلقات كالهنديات القديمات وبعض فلاحات بلادنا . . وهم يسيرون ويرقصون في شبه غيبوبة كالدراويش بينما وقفت مجموعة من السياح الهنود في ثيابهم الاوروبية تتأمل ما يدور بدهشة وذهول ! . . . وبعدهم تمر مظاهرة تحمل اللافتات وقد كتب عليها (جمعية راما . . الاطفال الجدد . . لعالم جديد . . لحياة جديدة) . . وانت لا تعرف ما هي الجدة التي يعنونها ، فهم مثل كل الهيبيز تفوح من جسدهم رائحة القذارة ونقاشهم الفكري مشتت . . انهم على حق في كل احتجاجاتهم على جنون العالم المعاصر وحقارة عدوانية الدول المتسلطة والاستعمار . . انهم على حق في ثورتهم على جنون التسلح ، وجنون الحضارة الآلية وافتقار الانسان في هذا العالم الميكانيكي الوحش الى سلام روحي داخلي وحنان عاطفي وعلاقات انسانية متوازنة ، ولكن المفجع في الهيبيز في الستينات وفي اطفال راما كريشنا وغيرها من الاسماء الجديدة التي يتخذها المراهقون في السبعينات انهم لا يملكون اي حل او اقتراح حل للمشكلة . . كل ما يفعلونه هو الهرب . . الهرب الى الجنون الذي وجدوا هم اصلا احتجاجا عليه : الم ينشأ الهيبيز احتجاجا على جنون العالم ؟ . . وبعد مرورهم عاد البائع العجوز الى تعبئة كلابه الدمى الصغيرة البيضاء التي عادت تقفز بجنون على ارض الشارع ، ورأيت الناس (المهندمين) والبشر غير الهيبيين يركضون في الشوارع مثلها . . . تماما مثل دمى عبثت (زنبركاتها) ، دمى موجهة تركض بينما تخطط لقدرها مؤسسات جشعة بشعة . . . وفكرت : ما أحلى غضب الشباب الذي لم يتشوه بعد ، ولكن ما اسوأ طريقته في حل المأساة !

لم اشاهد هذه المرة امرأة ورجلاً يتعانقان في الشارع او يقبل احدهما الآخر كما في الستينات . . شاهدت فقط سكيرين في (شافتسبري افنيو) يلاحقان صبيا في عتمة الشارع . .

Akhawia.net

وفي لندن معارض اسبوعية للجنون . صباح السبت في (البورتوبيلو رود) . مساء السبت في كينغز رود ، حيث الباحثات عن الشهرة يرتدين فساتين من (الشبك) ويسقطن في شباك مخرجي السينما المزعومين . . . فتيات في غاية الجمال ، يشبهن الدمى ، عيونهن زجاجية كعيون الدمى ايضا ، تطل منها تلك النظرة التي نراها في عيون المنومين مغناطيسيا والمسلوبي الارادة . . انها نظرة مراهقي السبعينات في اوروبا ولندن بالذات . . وتذهب يوم الاحد الى حي (هامستيد) حيث يوجد معرض اسبوعي فني على رصيفها الطويل الممتد حتى بركتها وحدائقها . . هناك ترى آخر صيحات الفن الحديث . . . رأيت لوحة احزنتني : انها تمثل رجلاً منشوراً على حبل الغسيل وقد تدلت يداه كأنه قميص فارغ . . لقد فرغته المجتمعات الاستهلاكية من دماغه ودمه وشبابه ولم يبق منه الا ذلك الجسد المصلوب على حبل غسيل . . .

والمعرض الفني الآخر الدائم هو على جدار (الهايد بارك) ، حديقة لندن الشاسعة . . وانت تحار هل تتأمل اللوحات والتماثيل ام التماثيل البشرية التي تمر بك وهي تعبر عما تفعله المدنية المعاصرة القاحلة انسانيا بالفرد المعاصر . . وفي (ركن المتحدثين) بالهايد بارك ، صار التشابك بالايدي مشهدا مألوفاً بعد ان كان النقاش هو وحده الهدف . . . ان العنف يتسلل الى كل مكان . . . في عالم لا يرحم ، العنف هو الحوار الوحيد الممكن ولكنه ايضا الحوار الاخرس والحوار المستحيل (حين تذكرت ان « التواليت ـ المرحاض » الذي استعملته الملكة فكتوريا ذات مرة في محطة فكتوريا ما يزال محفوظاً في المتحف انفجرت اضحك طويلاً طويلاً . . انه عالم مجنون مجنون متناقض) .

الهرب الى الارواح

في احد مراكز تجمعات (الهيبيز الجدد) في البيكاديللي ، اعلان يقول : بنت ضائعة اهلها يكادون يفقدون صوابهم ، اسمها آن بيركلي، عمرها ١٤ سنة وتبدو في الثامنة عشرة من عمرها ،طولها . . . (وهنالك صورة ضاحكة لها) ، الرجاء ممن يعرف شيئاً عنها ان يتصل بنا . . .

واحسست بأن هذا الاعلان لا يخص « آن بيركلي » وحدها ، بل يخص جيل السبعينات الذي ورث عن مراهقي الستينات كل جنونهم وضياعهم وحيرتهم وفاقه عنفاً وضراوة وتمردا ولكنه لم يأت بحل . . (ولكن هل هنالك حل ؟) . . .

يبدو ان الحل الموقت ، الذي بدأ زبائنه يتعاظمون ،هو الهرب الى عالم الارواح والكواكب والسحر . . .

Akhawia.net

وتصدر في لندن مجموعة كبيرة من الصحف والمجلات الروحية التي تناقش هذه الموضوعات وتلقى اقبالاً هائلاً . . وصديقتي الانكليزية (كانت زميلتي في الجامعة هناك عام ١٩٦٧) وسبق ان ذكرت في تحقيق سابق انها تحولت الى محضرة ارواح ، صارت اليوم امرأة ثرية لها سلطتها واتباعها ، وقد دعتني لحضور احدى جلساتها (مجانا) اكراما لصداقتنا القديمة . . . وقد فعلت ، ووجدت انها اضافت الى (العدة) القديمة مؤثرات صوتية حديثة صارت تستعين بالكومبيوتر لتحديد ايام (الخصب) الروحي استناداً الى ابراج (المرحومين) الصادرة بحقهم (مذكرات جلب) من عالم الارواح . .

وحتى المجلات النسائية بدأت تصدر مجلات نسائية روحية بينها مجلة اسبوعية اسمها (نجومك) . . .

وهنالك مجلة اخرى راقية تدعى (بريديكشن) اي (النبوءة) وهي تعنى بدراسة (القوى الخفية) التي تسير حياة الانسان . . . ونموذج مما يضمه عدد واحد منها يعطينا فكرة عن (المناخ الروحي) الذي تعيشه لندن ربما هربا من المناخ الجنسي والعالمي وكل ما هو مجنون وآلي ومادي في عصرنا . . ان قراءة الخط والكف عادت الى النشاط ، وصار يردّ على بريد القراء رجل مختص بحركات النجوم والافلاك وتأثيرها على البشر ، وصار يلعب دور الكاهن الذي يقول للناس ماذا يفعلون وكيف يحلون مشاكلهم . . ولم يعد الزواج بحاجة الى كاهن وطبيب فقط بل الى ساحر او عراف يقرر صلاحية العروسين (الكوكبية) ومدى انسجام ابراجهما . . حتى سوق المجوهرات تدخل في شؤونه العرافون لانتقاء الحجر المناسب لكل شخصية فالمعروف في السحر ان للاحجار الكريمة مغناطيسية وكهارب تؤثر في لابسها ، ولكل حجره وفقاً لبرجه ! . .

واذا كانت الكتب السياسية صاحبة الرواج الاول في بلادنا فان الكتب الروحية وكتب السحر والتقمص تحتل في اوروبا واميركا اليوم مركز المبيعات الاول . . (الكتاب الذي يشغل لندن اليوم هو عن الخانات المسكونة بالارواح في بريطانيا !) .

وتفسير الاحلام بدأ يصير علما ينافس كل الدراسات الاجتماعية والعلمية الاخرى . . هنالك كل مظاهر الهرب الى عالم الروح والردة الى عالم الذات بعد ذلك الانفلاش المروع لانسان العصر الذي ضيع مجتمع الرقي الالكتروني هويته . . . ان الفرد في اوروبا متحمس اليوم لمعرفة برجه وتأثيرات الافلاك على حياته اكثر من حماسه لمعرفة الاحداث العلمية الواقعية عن هذه الكواكب مثل الهبوط على سطح القمر ومشاريع الهبوط على بقية الكواكب . . .

Akhawia.net

وهكذا فان الاعلانات عن المنجمين وتحضير الارواح في لندن هي وحدها تنافس عدد الاعلانات عن صالونات سونا الجنس والتدليك . . . والناس يهربون الى خدر صالون تحضير الارواح او الى خدر صالون السونا . . ويتخذ المخدران الجديدان مكانهما الى جانب المخدرات الشهيرة (ال . إس . دي . الافيون ـ الحشيش) . . .

ان العالم متعب متعب ، بحاجة الى الحب والحنان والايمان . . وكل يوم يمضي يمعن ابحاراً بنا في بحار الضياع حيث لا نجم يقين يضيء . . .

ولكن هل ضياع الانسان المعاصر النهائي محتوم ؟ هل هي مرحلة النزع الاخيرة التي تسبق موت الانسان النهائي (انسانيا) وتحوله الى آلة كالروبوط تخدم المؤسسات الجهنمية التي تخطط لمجتمعات استهلاكية راقية علمياً والكترونياً ، ولا بد من موت انسانية الانسان كي يستطيع الانسجام داخلها وخدمتها والقبول بها ؟ . . هل قتل انسانية الانسان ممكن ؟ . . .

في احد الدهاليز التي تقود الى المترو بلندن عازف مقعد جلس وسط جنون المدينة يعزف على كمانه العتيقة لحنا روحياً شفافاً لـ « باخ » . . ومر المترو . . وداس على الحانه . . ومزقها . . . ثم مضى وانحسر وبقي العازف العجوز وبقي باخ وبقي اللحن الروحي الشفاف . . . (ومثله سيبقى الانسان) . . .

وقبلت العازف العجوز فرحة . . ومضيت . .

Akhawia.net

لندن ١٩/ ٧/ ٧٣

حرية ما

آخر يوم في لندن قضيت بعضه في حديقة حيوانات فريدة تقع في ضاحية « وندسور » ، واسمها « سفاري كامب » . .

تضم الحديقة مجموعة هائلة من الاسود والنمور والزرافات والقردة وغيرها من كائنات الطبيعة . . وقد يكون في حديقة لندن او نيويورك للحيوانات عدد اكبر مما في هذه الحديقة بكثير ، ولكن هذه تتميز بصفة فريدة جديدة . . . فالحيوانات هي الطليقة في الحديقة ، والناس الذين يتفرجون عليها هم السجناء داخل اقفاص زجاجية متحركة (اسمها السيارات) تتيح لهم رؤية ما يدور في تلك الغابة البدائية الاصطناعية . . .

انك تدخل الى الحديقة بسيارتك وسط شارات (خطر الموت . احذر فتح النافذة . لا تحرك سيارتك بسرعة لئلا يغضب « سكان » الغابة . حذار من المزاح القاتل . . . الخ) . . وتمشي بسيارتك لترى الاسد بكل جلاله ومهابته والنمر بكل رشاقته يرقبك بفضول وانت سجين داخل (قفصك) الزجاجي النوافذ . . وترى الحراس المسلحين في ابراجهم يرقبون اية اشارة (عدم كرم ضيافة) تبدر عن « اهل الغابة » للتدخل فوراً وحماية الزوار . . .

واحياناً يستبد الطرب بالقردة فتقفز على السيارات ، وتبالغ في ابداء فرحها بالضيوف فتكسر (مساحات) السيارة و (انتيناتها) ، وتمد السنتها للكبار ويفرح الصغار شامتين .

في هذه الغابة حيث الحيوانات حرة طليقة (نسبيا) اكتشفت انني ارى للمرة الاولى الاسد والنمر والذئب وبقية كائنات الطبيعة العظيمة . اجل ! سبق لي ان شاهدتها في اقفاص الحيوانات التقليدية . . ولكنني اعترف ان منظر الاسد كان دوما يدهشني . . فقد كان يبدو لي كسولاً بليداً مطفأ العينين ، والنمر كان يتحرك في قفصه مثل عجوز مصاب بشلل الاطفال منذ عهد بعيد حتى صار التشويه من بعضه . . . كنت اتذكر ما قرأته عن الاسد من اشعار ومن حكايات ، فاعتقد ان في الامر تزويراً ما . . كيف لم يخطر ببالي من قبل ان الاسد داخل القفص ليس اسداً وانما هو جسد اسد محشو بالقهر والذل ، وان

Akhawia.net

النمر بلا حرية يصير مجرد قط كبير ويفقد كل خصائصه وصفاته وحواسه ؟

وانا اتجول في (سفاري كامب) وارى كيف ان تلك الكائنات ذات الحرية النسبية تشبه ذاتها . . وانه كلما ازدادت حريتها كلها برزت مزاياها الحقيقية وتفجرت طاقاتها ، تذكرت الانسان العربي . . تذكرت عصور كبت الحرية التي توالت عليه ، والتي لم تقتل اصالته لكنها بلا ريب شوهته واصابته بعاهة الصبر (ان لم اقل السكوت) على الانتهاك لانسانيته . . . (والا فما معنى بقاء اسرائيل طيلة هذه الاعوام سكيناً في وجودنا العربي ؟) . .

الحرية . الحرية . الحرية . تلك الكلمة التي لا شيء اثمن منها . . نتغزل بها ، نلون شعاراتنا بها ، نتحدث عنها في المقاهي ، ولكن متى نمارسها ؟

الى اي مدى هي متوفرة لانساننا العربي ؟ والى اي مدى يعي اكثر زعمائنا مدلولها حينما يستعملون اللفظة (الحرية) في خطبهم واحاديثهم الصحافية ؟ . . .

ها هو الليل يحيط بي من كل جانب . اني افكر بأهل « السفاري كامب » وبحريتهم النسبية ، ما دامت الاسوار تحيط بغابتهم من كل جانب . . .

لا ريب في انه في هذه اللحظة بالذات يوجد حيوان واحد ، واحد على الاقل يدور برأسه حول سور الحديقة بحثاً عن منفذ الى مزيد من الحرية . . لعله في هذه اللحظة يضرب رأسه بالسور حتى يفتح فيه ثغرة او يموت . .

متى نفتح ثغرة في ليلنا الطويل ؟ . . .

Akhawia.net

باريس ٢٠/ ٧/ ٧٣

القطار دهس الفيلم !

ثمة مدن كالنبيذ ، يجب ان (تتعاطاها) بدرجة حرارة معينة ، واذا زادت هذه الدرجة فسد النبيذ وضاعت نكهته . . .

ولندن قارورة نبيذ من النوع الذي يجب ان يظل مثلجاً . . . وحينما تطلع الشمس في لندن وترتفع درجة الحرارة ويرحل عنها الضباب يرحل عنها السحر . . .

وحين طلعت الشمس ذلك الصباح وارتفعت درجة الحرارة ، فاحت من أزقة لندن رائحة النفايات والاجساد الهيبية المعروقة المضربة عن الاستحمام ، ادركت انه قد حان وقت الجلاء عنها الى اي مكان آخر .

لندن في الشمس مدينة اخرى ، ازقتها مثل وجه غانية ، يجب ان تراه باستمرار مع الاضاءة الخافتة ، وحين تعريه لسياط الشمس تفتضح كل اسراره . . .

لندن المزدحمة بما يفوق ١٢ مليون انسان ، تفوح منها رائحة عفونة بشرية ممزوجة بملايين الروائح المنبعثة من صفائح الطعام المعلب . . . يصير الزحام لزجاً وخانقاً كأن الاجساد كلها تمددت والشوارع ضاقت والسماء صارت مكواة من الفولاذ المحمى معلقة فوق صدر المدينة ، وقد تهوي فوق رأسك لتسحقه في اية لحظة . . .

وتجد نفسك راكضاً الى حديقة « الهايدبارك » كما يفعل اهل لندن حين تطلع الشمس ، وتمشي بين ملايين الاجساد المستلقية على العشب بما (قل ودل) او بثياب الاستحمام ـ للاسر المحافظة !

ورغم كل شيء يظل احساسك بالسماء الفولاذية يعذبك كأن الحر في لندن كهارب شريرة تملأ الجو وتصعق الغريب الذي لم يألفها . .

وتجد نفسك راكضاً الى اول شركة طيران لتحجز لنفسك مقعداً في اول طائرة . .

التانغو « الاول » في باريس

حين اصابت لوثة الاباحية لندن منذ عشر سنوات وخلعت عنها ملابس الراهبة وركضت الى شاطىء التاريخ تمارس في ليله كل شذوذ وغريب ، ظلت باريس مدينة متحررة دون تبذل ، مرحة دونما هستيريا ، مشرقة دونما (ال . . اس . دي) . . .

Akhawia.net

ولكنني شاهدت باريس تحترق هذه المرةوتلتهب.كانت تحترق حراً ايضاً ، وتحترق جنوناً . . . ففي مسابحها على ضفاف نهر « االسين » ، وحتى في الضواحي (شانتيي مثلاً) فوجئت بعدد كبير من السابحاتالعاريات الصدر تماماً . . . ظننتهن للوهلة الاولى مصابات بالسهو وبنسيان ارتداء بقية المايوه ، ولكن يبدو انها موضة باريس لهذا العام تزايد بها على لندن ، كأنها تحاول استعادة سمعتها (السيئة) في الثلاثينات حين كانت ام (الكانكان) والحرية وكانت لندن ما تزال غارقة في اقنعة المحافظة .

وتقدمت من احدى السيداتالعاريات الصدر ، وكانت تتمدد مسترخية في الشمس وسألتها : الا تشعرين بأي حرج وانت شبه عارية هكذا ؟ . . .

قالت : ولماذا اشعر بالحرج ،؟ ان الاسماك والقطط والغزلان لا ترتدي ثيابا ! واننا نأتي من ملكوت الله عارين ، نوجد في الرحم عارين ونولد هكذا . . . ثم صاحت بي بحدة : الا تشعرين انت بالخجل لأنك ترتدين كل ثيابك في هذا الحر اللاهب والعرق يقطر منك ؟

كان ذلك (اول تانغو) في باريس شاهدته يوم وصولي ، ومع المساء كنت اقف في صف طويل من البشر لمشاهدة (التانغو الاخير في باريس) ،الفيلم الذي سمعت وقرأت الكثير عنه . . . وهو فيلم صدم العالم ، ففيه يمارس مارلون براندو لقاء جنسيا كاملا على الشاشة وامام الحضور جميعاً . .

وفوجئت بأن ما صدمني في الفيلم لم يكن الجنس ، وانما كان شيئاً آخر . . .

قصة الفيلم ؟ لا ادري . شقة شبه مقفلة . امرأة ورجل (مارلون براندو) يمارسان الجنس ، مرة بثيابهما كاملة ، ثم بدون ثياب ، ثم يوفر المخرج تكاليف نصف الفيلم حيث نقضي هذا النصف دون ديكورات في غرفة عارية الا من فراش ، ومارلون براندو و (الاخت) البطلة يستعرضان ما ورد ذكره في (الكوماسوترا) من اوضاع . . واعترف بأن ما ضايقني في الفيلم لم يكن الجنس وانما استغلال الثقافة لستر الجنس الذي قدمه لنا الفيلم . خرجت غاضبة لا من اجل الاخلاق ، ولكن من اجل الفكر . فمخرج هذا الفيلم هو « برتولوتشي » الايطالي ، وهو مخرج جيد سبق لي ان شاهدت له فيلما سياسيا ملتزما عن قصة لالبرتو مورافيا اسمه (ذي كونفورميست ـ اي التقليدي) . . . فوجئت به في فيلم (التانغو الأخير في باريس) يحاول ان يستعمل علمه وثقافته ليكسو الجنس المبتذل في الفيلم بقشرة هشة من الاحاجي الفكرية . انه يحاول ان يتملق ، ويحاول ان يرشو اليساريين بايهامهم ان (تانغو) قنبلة يفجرها في المجتمع

Akhawia.net

البورجوازي . . . لكن فيلمه في الحقيقة هو ضد اليمين واليسار وضد المثقف والجاهل لانه فيلم عادي . انه يحاول ان يقطع مشاهد الجنس بكليشيهات سينمائية ثقافية ملطوشة من لغة سينمائيين كبار آخرين ، امثال انغمار برجمان وفليني وغيرهما . . .

فقبل مشهد الجنس الاول في الفيلم يطالعنا بمشهد للقطار ـ او المترو ـ الراكض بجنون امام شقة الحب الباريسية . . . ورمز القطار صار مستهلكاً شاهدناه في عشرات الافلام ، وشاهدناه مقترناً بالجنس في فيلم كين راسل عن تشايكوفسكي ـ غلينـدا جاسكون ـ حيث تمارس الحب الخائب في القطار مع زوجها . وقد فجر يومها المخرج كين راسل كل الايحاءات الابداعية في فكرة القطار مقترناً بالجنس والزمن . وشاهدناه ايضا في فيلم (ذات قطار ، ذات مساء ـ مع انوك ايميه) وفيه كان القطار رمزاً للوجود الانساني والزمن الهارب . . وشاهدناه في فيلم (كباريه ـ ليزا مانيللي) التي تركض اليه لتدفن في جلبته كل جراح حنجرة قلبها ولتصرخ وتصرخ وتغسل نفسها من مسرحية الابتسام للآخرين والقبول المتواصل للقرف الذي يحاصرنا في حياتنا بالكاباريه الكبير : الكرة الارضية .

وفي مسرحية تنيسي وليامز التي تحولت الى فيلم مثله كل من (ناتالي وود ـ شارلز برونسون) كانت سكة القطار المهجورة رمزاً ثرياً بالايحاءات واصداء قطار الزمن الهارب تسمع طوال الفيلم مع اصداء قطار العصر الذي يرتجف له البيت ارتجافاً . . ومع ذلك جاء برتولوتشي في فيلم (التانغو الاخير في باريس) واثبت استخفافه بالمثقفين واحتقاره لهم حين قدم لهم رمز القطار المستهلك دون ان يحمله اي مضمون جديد . . . والذي يغيظ في فيلم (التانغو الاخير) ان المخرج يحاول قبل كل عملية جنسية (مثل التي نراها في اي فيلم جنسي عادي من التي تعرض في الصالات السرية) ، نجده يحاول رشوة المتفرج المثقف بكمية من الرموز الفكرية المزيفة الغرض منها ايهامه بأن هنالك (ابعاداً) فكرية تكمن وراء ما يدور . . اما بالنسبة للمتفرج العادي ، فان «برتولوتشي»(المخرج) يظن ان هذه (البوزات) الفكرية سوف (تضبعه) ، وتجعله يتوهم ان الفيلم اعمق من ان يفهمه .

فمشهد الجنس الاول مثلاً في غاية الافتعال . وتصوروا معي امرأة تلتقي فجأة برجل في شقة فارغة وقبل ان يقول احدهما للآخر صباح الخير ينقض الرجل على المرأة ليمتلكها على بلاط الغرفة ، دون ان تغضب او تصرخ او حتى تبدو الدهشة على وجهها مثلاً ! . .

Akhawia.net

ولكن المخرج يغطي سذاجة الموقف برمز (فكري) ، فالفتاة ترتـدي معطفـاً من الفراء الابيض وهو يمتلكها وهي ما تزال ترتديه لتبدو بعد العملية مكومة على البلاط مثل قطة بيضاء منبوشة الفرو ، ويخيل اليك انك تسمع صوت المخرج يصيح : انظر ما ابدع هذا الرمز . لقد قدمت لكم الآن الجنس الحيوانـي واوحيت لكم بذلك من خلال فراء البطلة الابيض ! . . . يبدو ان المخرج فرح جداً بهذا الرمز لأنه كرره في الفيلم اكثر من مرة ولم يسمح لبطلته بخلع معطفها الا في منتصف الفيلم حين تذكر انه من المناسب ـ حرصاً على الزبائن ـ ان تتعرى ، واذا بها عارية تماما تحت المعطف . وتدور الاحـداث بصمت مطبق حتى لتظن ان سراً عظيماً يهيمن على البطلين (القطين) ، ثم تكتشف ان السر هو ببساطة انه لا يوجد سيناريو للفيلم ! . . ففي الحوار الاول الـذي يدور بـين البطلين قرب نهاية الفيلم وبعد معاشرة طويلة ينهر مارلون براندو البطلة لانها سألته عن اسمه ! . . يقول لها ان الاسماء لا تهم ! . . يا له من رمز بدائي آخر مستهلك يذكرنا فيه المخرج بمزايا « الجنس للجنس » على طريقة « الفن للفن » ! . .

ولان (موضة العصر) اقتران الجنس بالعنف ، كان لا بد « لبرتولوتشي » من حشر بعض العنف في فيلمه . . . عنف جسدي جنسي مارسه مارلون براندو بالشهية التي كسر بها فك مصور صحفي حاول التقاط صورة له منذ اسبوع (خارج السينما ـ ولعل مارلون براندو ضرب الصحفي لانه حاول تصويره في الشارع وهو بكامل ثيابه !) كما ان هنالك مشهد عنف (وجودي) نفهمه من بكاء الام التي انتحرت ابنتها بسبب البطل . . وهنا ايضا يحاول المخرج استرضاء المثقف بتقديم رمز الشموع ، والدماء ـ التي تغطـي بانيو الانتحار ـ . . ويكاد المخرج ينزلق في تقديم فيلم بوليسي ولكنه يعود فيتذكر ان الجنس تجارة اكثر ربحاً ، فيمسح ما يكون قد علق بذهننا بمشهد جنسي أخير . . وتخـرج من الفيلم دون ان تهتز في جسدك عضلة شهوة واحدة ـ الا الشهوة الى ضرب المخرج ـ لأنه مارس (استغباءه) لك الى ابعد مدى . . .

من الواضح ان المخرج قرر ما يلي : انا بحاجة الى نقود . سأقنع ممثلاً مشهـوراً بممارسة الجنس امام الجمهور ونقتسم الارباح ! . . . وبعد ان انطلق من هذه النقطة ، حاول لملمة بعض (الكليشيهات) الثقافية والصاقها بين مشاهد الجنس ، فجاء (تانغوه) اكثر رداءة من رقصة جيرك يؤديها شيخ في التسعين مصاب بديسك في ظهره ! . .

وحتى اسم الفيلم (التانغو الاخير في باريس) يبدو انه وقع الاختيار عليه لمجرد انه جذاب ودون ان تكون له اية علاقة بالفيلم ، وحين ينتهي الفيلم ويصبح معداً للعرض ،

Akhawia.net

يتنبه المخرج الى ذلك ، فيلصق بالفيلم مشهداً اخيرا لا علاقة له بالاحداث (غير الموجودة اصلا) ولكن له علاقة بالتانغو وبباريس ! . . ها هي فئة بورجوازية ترقص التانغو التقليدي بطريقة كاريكاتورية بالغة السخف ، وها هو مارلون براندو يخرج فجأة ليرقص التانغو على طريقته ـ اي بينما هو يخلع ثيابه في البيست ـ وتزعق (تانتات) المجتمع وتخدش انظار نجمات الطبقة المخملية المهترئة . . المشهد وحده جيد وممتع ، ولكن لا علاقة له بالفيلم ، والتزييف الفكري فيه واضح . . فشخصية براندو التي نراها طوال الفيلم هي شخصية بعيدة عن روح الفكاهة ، وهو طوال الفيلم يتحدث ببطء ويتحرك بسماجة اين منها سماجة (البورجوازيين) . . واذا به في آخر الفيلم يتحول دون اي مبرر منطقي في الاحداث الى شاب خفيف الظل وصاحب نكتة عملية على طريقة (وودي آلن) . .

من يرى هذا الفيلم لا بد وان ينذر العفة ، ولا يمارس الجنس الحيواني لفترة طويلة ! . .

في الفيلم (البرتقالة الالية) الرائع الممنوع عندنا للأسف ، نرى ان الفيلم يخترع علاجاً جديداً للجريمة يتلخص فيما يلي : كل من ارتكب جريمة ، يخضع لعلاج خاص يقتل فيه كل قدرة على العنف ، ويتلخص هذا العلاج بارغام القاتل على مشاهدة افلام من العنف البشع حتى تتكون في عقله الباطن مناعة ضد العنف وقرف لا حد له من القتل . . والى درجة انه يعجز عن ممارسة العنف ، ومشهد السكين او المسدس يدفع به الى التقيؤ . .

انطلاقاً من هذا المبدأ اطالب بعرض (التانغو الاخير في باريس) على شبيبتنا كنوع من (اللقاح) ضد التورط في الجنس الحيواني البشع ، وتذكيراً بحقيقة اساسية وهي ان لا شيء في العالم يشبه جمال الجنس الصحي السوي الانساني اي النابع عن الحب والرافض للابتذال ولكل اشكال الاستعراض والتكسب والتحقير .

التانغو الأخير . . . للنقاد

ولأن السينما تجر السينما ، فقد شاهدت فيلماً آخر اسمه « مسرح الدم » يتوكأ مخرجه على عكازة الربح المادي الثانية : العنف . . فكما الجنس رائج ، كذلك الدم . .

وفي الفيلم نشاهد مصرع عشرة اشخاص بالتفصيل مع الحرص على تسليط الكاميرا على الجرح الذي يتفجر منه الدم وكيفية تمزق العظلات وكسر العظام واقتلاع العيون وانتزاع قلب بشري من التفصص الصدري .

Akhawia.net

والذي يربط بين فيلم (التانغو الاخير في باريس) وهذا الفيلم (مسرح الدم) هو اعتماد المخرجين على قشرة ثقافية زائفة لرشوة المتفرج . . وعلى باب السينما حيث يعرض (مسرح الدم) لوحة عليها اقوال كبار النقاد في امتداح الفيلم (ولعلهم فعلوا ذلك تحت تأثير خوفهم من التهديد الضمني للنقاد الذي تتضمنه قصة الفيلم) .

فهي حكاية ممثل يلعب ادوار شكسبير على المسرح . وذات يوم يرشح نفسه لنيل جائزة مسرحية كبيرة ، ولكن لجنة مكونة من كبار النقاد تحجب عنه الجائزة بالاجماع ، فيرمي بنفسه في نهر « التايمز » ويظنه الجميع قد مات . . لكنه لم يمت ، وانما قذفت به المياه الى الشاطىء ونجا . وتعلن الصحف نبأ موته ، ويختبىء هو في اطلال مسرحه المقفل ، وهناك يكون فرقة من الممثلين الفاشلين الذين يقررون عرض مسرحيات حية من نوع خاص تحدث فيها الميتات المسرحية عملياً . . . ويبدأ انتقامه . . . يأتي بالناقد الذي سبق له وانتقده في مسرحية تاجر البندقية ، فيقتله على طريقة شيلوك وذلك بقص (اوقية) من اللحم من صدره كما ينص العقد ، ويتم القتل اثناء تأدية المسرحية . . . والناقد الذي انتقد دوره في عطيل يقتل كما انتهى عطيل : بدفعه الى قتل زوجته ثم الانتحار . .

وناقد آخر يذبح في فراشه . . واخر يربط الى ذيل حصان بعد قتله ويرسل به الى جنازة ناقد آخر سبق قتله خنقاً . . وهكذا ينبش الكاتب (انتوني جريفيل بل)والمخرج (دوغلاس هيكوك) كل وسائل القتل الشكسبيرية المذكورة في مسرحياته . . ولكن ، رغم هذه القشرة الزائفة من الثقافة ، يظل الفيلم تافها ولعل الخطب الرنانة فيه ضد النقاد الذين يقتلون المواهب بجرة قلم ، ارعبت النقاد حقا حتى جاؤوا يمتدحون الفيلم . . .

ان هذين الفيلمين يمثلان ظاهرة ارتداء قناع الثقافة لستر التفاهة والضحالة . . . ومن هنا خطرها الحقيقي لان الابرياء وانصاف المثقفين قد يأخذون ما يدور امامهما على محمل الجد . . . ذلك هو دس الدسم في السم ـ لا العكس ـ ! . .

باريس . . تانغو الحياة

ولكن ليس كل ما في باريس مزيفاً ساقطاً في ظاهرة الدجل (والجلاجلا) الفكري . . تظل باريس ثرية بعطائها الفني الاصيل والجاد . . .

احزنني انه تصادف وجودي مع اضراب عمال متاحفها ، وفي متاحفها خلاصة ثرية للعطاء الانساني على مر الاعوام . . . لكن ذلك اتاح لي فرصة الاستمتاع من جديد بالمتحف العفوي الحي الكبير المسمى شوارع باريس . . . ان الثقافة هنا تحاصرك ، وتدخل الى عينيك وتنفذ اليك رغماً عنك . . . المعارض الفنية على جانبي نهر السين لا

Akhawia.net

تخلو من الابداع . . الغاليريهات في (الريف غوش) وفي ازقة الحي اللاتيني . . .

جلسة في مقهى مع مثقفين لا تعرفهم تغنيك انسانيا اكثر من محاضرة مخططة،لها بطاقات دعوة وفلاشات تصوير . . .

كتاب ليلى خالد الاخير يحتل اكثر الحوار . . اخبار منعه واسباب هذا المنع وشرعية اختطاف الطائرات ، ودفاع الشبيبة عنها بحرارة . قال لي يساري متحمس : لا حق لأحد بالتصدي لكتابها او عرقلة انتشاره . . لقد احتضنت فرنسا الكاتب « بابيون » الذي يروي في مذكراته حكاية جرائمه ، فلماذا تمنع فتاة تناضل من اجل وطنها من سرد تفاصيل احداث نضالها ؟ . . .

وقالت جانين الفرنسية الحلوة خريجة السوربون : يقال ان الصهيونية سوف تشتري كل النسخ وتبيدها . . هذا عظيم ، فستربحون المال ، وسيعاد طبع الكتاب ويظل يعاد طبعه . .

ان اموال الصهيونية كلها عاجزة عن شراء كلمة حرة . . فالكلمة وحش اسطوري لا يقوى على قمعه بنك اوف اميركا او اي بنك آخر . . .

ان الضجة التي تثيرها ليلى خالد في اوروبا بكتابها ، تؤكد من جديد للمشككين في بلادي اهمية الحرف كسلاح ، وأن المحبرة لا تقل فعاليتها عن القنبلة اليدوية .

Akhawia.net

روما ٢٧/ ٧/ ٧٣

متحف ام نكتة !

فيينا مثل كلمة « وداعا » . . حزينة وشفافة . نصف دامعة . صمتها مجزرة كلمات . . . هكذا شاهدتها حين وصلت مساء ـ كأني رحلت من الصيف الى الشتاء ـ فقد كانت ريح خريفية خافتة تنفخ في اوصال شوارعها، ومطر هادىء كئيب يقطر من عيون الليل دونما صخب . . . وخلف المطر بدت فيينا بأضوائها المرتجفة ، زائغة شبه هاربة . . . والمطر يطاردها . . . بينما بقية اوروبا غارقة في احضان الشمس . .

ولكن من يعرف فيينا جيداً ، لا يملك الا ان يتذكر هذه العبارة : « اذا احتفظت في قلبي دائما بغصن اخضر ، فان طائرا ما لا بدان يقف عليه » . . .

فالانطباع الاول عن حزن فيينا ليس خاطئا . . . ولكنه ناقص . . . وعلى الشجرة اليابسة لاحزانها غصن اخضر يعود اليه دائما طائر الحياة . . .

فيينا مدينة قديمة قديمة ، يرجع تاريخها الى ما قبل الف سنة قبل الميلاد . . . وككل المدن القديمة ، تظل تحوم في جوها كل المآسي التي شهدتها احجارها واشجارها . . . فيها عراقة وتاريخ . . . وفيها كآبة مدينة عرفت السقوط اكثر من مرة ، وهدمت اكثر من مرة ، واستطاعت ان تقف على قدميها مرة بعد اخرى وقد زادت الاحزان في نكهتها الخاصة ، وفي تفجير طاقاتها البشرية الابداعية . . . والى ما قبل ربع قرن ، تدمرت فيينا في الحرب العالمية الثانية ، وحصد الموت عشرات الالاف من اهلها وكانت العاصمة الاوروبية الوحيدة التي تناقص عدد سكانها في السنوات الاخيرة بدلا من ان يزيد . . . ولكن ذلك ـ للاسف ـ امر يمتع السائح . . .

فالحزن الذي يقطر من فيينا الجريح المتعبة حزن نبيل ومبدع ، ومناخه الهادىء النقي يريح الاعصاب التي مزقها جنون لندن وباريس . . . ثم انه لا ازدحام في فيينا . . . ولا مشكلة سير ولا جنون سيارات . . . انها شاسعة كامبراطورية ، وهادئة كقرية . . . والناس فيها لطفاء وكرماء ولديهم الوقت لارشادك الى الطريق مثلا ، لا كما في لندن حيث يركضون مثل الآلات في الشوارع ويبتلعون سندويشاتهم في الزحام وليس لديهم لحظة يلتقطون فيها أنفاسهم ليردوا على استفسار سائح ضال مثلا . . .

كتب البابا بيوس الثاني (١٤٠٥ ـ ١٤٦٤) رسالة الى صديق ، تحدث فيها عن

Akhawia.net

فيينا ، واصفا جمال طبيعتها وشدو طيورها ، وحاناتها التي تكاد تكون مدينة اخرى تحت الارض مسكونة بالغناء والرقص والشقراوات الجميلات . . . وقال في رسالته « اكثر الفتيات في فيينا يخترن ازواجهن دون معرفة الاهل . والارامل يتزوجن سراً خلال العام الاول من الحداد ! » . . .

وكلام البابا بيوس الثاني الذي يصف به ارامل فيينا يكاد ينطبق على المدينة ككل . . . فيينا ارملة الفرح المقتول في الحرب العالمية الثانية ، عادت ترمم نفسها كأن شيئاً لم يكن ، فالغصن الاخضر في قلبها لا شيء يحرقه . ولذا يعاود زيارتها دائما طائر الحياة . . .

ولكن ما هو غصنها الاخضر ؟ ما سرها ؟ .

عظمة فيينا تكمن في كنز الابداع الانساني الذي تحتفظ به ، لا في متاحفها فحسب بل وفي تكوينها البشري . . . ان هذه المدينة تنضح فنا ورقيا ببساطة كما ينضح جسد الفلاح بالعرق ! لست بحاجة للبحث عن سر فيينا ، انه يطاردك . . . اذا ذهبت الى احدى حدائقها العامة طاردتك تماثيل الخالدين المزروعين فيها ، وفاجأتك فرقة موسيقية (اوركسترا كاملة) تجيء لتعزف في الحدائق مجانا الحان شتراوس وموزار وشوبرت وبيتهوفن . . . الموسيقى هناك كالشمس عندنا ، مجانا وللاطفال وللجميع . . .

متاحف فيينا غنية بالتراث الانساني . . . ولعل في بُعد فيينا عن مناخ التهريج الدعائي ، وفي طبيعة الحياة البسيطة فيها ما هيأ مناخا تلحظ العين فيه كل ابداع دونما افكار مسبقة . . . ومن هنا كان إحياء فيينا لعدد كبير من العباقرة شبه المغمورين ، واعادتهم الى العيون والقلوب ، امثال الرسام العظيم بوش .

سيأتي يوم يصير فيه « جيرونموس بوش » في بلادنا اسما معروفا كاسم سلفادور دالي وبيكاسو وغيرهما . . . (مع الفارق فنيا لصالحه) .

عظمة بوش انه عاش في القرن الخامس عشر الا ان اعماله معاصرة وسوريالية اكثر من اعمال اي فنان معاصر . . . انه الاب الشرعي والاول للسوريالية ، ومن يقف امام لوحاته في متحف فيينا يدهش لقدرته على الرؤيا المستقبلية ، والرمزية المتفجرة دونما ادعاءات . . . وما يدهش النقاد في بوش الذي لم يرحل قط من قريته ، هو انه تيار قائم بذاته . . . فليس في المدرسة الفلمنغية ولا في اية مدرسة اوروبية معاصرة له ما يشبه تياره الابداعي الفذ . . . وحياة بوش مثل حياة شكسبير ، يحوطها الغموض ، ولكن ايا كان راسم هذه اللوحات الفريدة ، فانه عبقري كبير . . .

Akhawia.net

وفي نطاق دراسة اعماله ، شاهدت في فيينا معرضا خاصا لها عرضت فيه نسخ عن لوحاته المبعثرة بين متاحف مدريد وباريس ونيويورك وروما مما يسهل لعشاق فنه اكتشافه بامعان . . . انك حين ترى لوحات بوش لا تملك الا ان تشتم سلفادور دالي الذي سرق اهرام بوش وقلده . . . لا بل قلد اجزاء صغيرة من لوحاته الملحمية الشاسعة التي تقول رسما ما قاله تشوسر ودانتي شعراً . . ثم ان الاطلاع على اعمال بوش يملؤك احساسا بقصر نَفَس الفنان المعاصر . . . في اعمال بوش يتعانق الابداع مع صبر « الصنايعي » ومنحه للفن كل ذاته ووقته . . .

واذا خرجت من متاحف فيينا ، (وشوارعها وابنيتها العتيقة متاحف حية) لاحقك الفن وحاصرك وتدفق الى اذنيك مع الهواء الذي تتنفسه . . . موزار . شتراوس . برامز . شوبرت . بيتهوفن . جوستاف مالر . كلهم اقاموا في فيينا ، وتحس بأن الحانهم ليست سوى موسيقى المناخ الانساني والابداعي في فيينا ، وان كل ما فعلوه هو التقاط هذه الموسيقى وكتابتها بشكل نوطة وتدوينها واعادة عزفها . . .

واذا ذهبت الى حي جرينزينغ ، اتيح لك ان تعيش يوما كاليوم الذي قضاه بيتهوفن او موزار فيه . . وجرينزينغ حي قديم مبني على مرتفع مطل على فيينا . . انه بمثابة مونتمارتر في باريس : حي الفنانين .. يقيمون بين اشجاره وادغاله ، والبيوت العتيقة تحولت فيه الى مطاعم سياحية فولكلورية ، والليل هناك اسطورة ، وامرأة جسدها « ابل سترودل » (حلوى التفاح المحلية) ؛ ونبيذ ، واغنية نمساوية قديمة على اوتار آلة تشبه آلة (القانون) العربية . . .

ليل فيينا اكثر طهرا وبراءة من اي ليل اوروبي سياحي . . . وهي رغم زحف العصر عليها ما تزال محتفظة بطابعها الخاص في الجوهر . . . فقد تصادف ان دخلت احد مطاعمها ، واذا به يوغسلافي ، تعزف فيه موسيقى شبه شرقية ، ويقدم فيه طعام اندونيسي !! . . ولكن وسط هذا الخليط ، جلس عاشقان نمساويان يتغازلان على الطريقة النمساوية : بحيوية ومرح ودونما ابتذال كما الطيور . وفي فيينا ظاهرة نجدها في اوروبا كلها وهي حسن استغلال الاماكن الاثرية والبيوت القديمة وتحويلها الى مناطق سياحية من الدرجة الاولى ، بدلا من الخرائب كما يحدث في بلادنا . . وليل حي جرينزينغ في فيينا يذكرني بليل حي « تراستيفري » - اي : ما وراء النهر في روما . فالبيوت المحيطة بكنيسة « سانتا ماريادي تراستيفري » في روما هي بيوت من عصر النهضة الاوروبية . . . ساعدت الدولة اهلها في المحافظة عليها ، وعلى ازقتها الضيقة الرومانية الرصف ،

Akhawia.net

ومنعت السيارات من افساد مناخها التاريخي الساحر . . وحتى الدراجات النارية ممنوعة من التجول هناك . . . وفي كل ليلة تتحول ازقة « التراستيفري » الى مقاه ، ولكل مقهى تاريخه واساطيره ، « وجرسوناته » يرتدون الثياب التاريخية من رومانية واغريقية ، والفرق الموسيقية تعزف في ليله على طريقة الشعراء الجوالين وتلتهب آهات المغنين باللغة الايطالية التي تشعر ان مفرداتها تقتصر على الغزل ويطير السواح في هذا الليل المسحور مثل الفراشات المضيئة اشعاعا بالسعادة ويدفعون « الفواتير المغشوشة » دونما اسف ولا ندم لانهم استمتعوا بالاجازة وتجددوا . . . ذكرني ذلك كله بمدننا التاريخية واحيائنا الشعبية المهملة ، التي لا تلقى من السلطات عونا الا في حالات الهدم وارسال الحفارات . . .

متحف الفن الحديث

روما تنافس فيينا من حيث ثرواتها الفنية القديمة . .

وفي الفاتيكان وحده كنوز ثقافية قديمة لا تحصى . . . ولكن القادم اليها من فيينا يشعر بأنه اكتفى من ابداع الماضي ولم يعد قادراً على امتصاص المزيد ، مثل اسفنجة مثقلة بماء البحر ، وعبثاً تغرف المزيد من المحيط .

ولذا ذهبت في روما لأزور من جديد متحف الفن الحديث (خلف قصر وحديقة البورغيزي) وهو متحف كبير دائم مخصص للفن الحديث ، ويقام في احدى قاعاته معرض دوري لفنان معاصر . . . في المرة السابقة تعرفت فيه الى الفنان المعاصر (مانزوني) الذي مات شابا منذ اعوام ، وشاهدت يومها « صرعاته » الفنية . . .

احتل القاعة هذه المرة الفنان موراندي الذي مات ايضا منذ اعوام وكان انطباعيا كلاسيكيا رغم معاصرته . جولة بين لوحاته الباهتة الميتة تجعلك تحس بأزمة الفنان المعاصر امام انتاج عباقرة امثال بوش ومايكل انجلو ودافنتشي . . فالمقلد للكلاسيكية مثل موراندي يظل باهتا في عصرنا وتافها ، والخارج عنها على طريقة مانروني يتحول من فنان الى صاحب صرعات .

وانا رغم تعلقي بكل جديد ، وركضي خلف كل غريب اعترف بخيبتي في متحف الفن الحديث اذا قارنت ما فيه ببعض ما تخلقه فيك المتاحف القديمة من احاسيس محرضة خلاقة .

متحف الفن الحديث اقرب الى النكتة العملية منه الى المكان الجاد . كل ما فيه ـ ما عدا اعمال فان كوخ وجياكوميتي ومانيه ومودلياني ـ تحسها من عمل اشخاص يريدون (الصرعة) لا الابداع . . . وكما ذكرت في مقالي الاول عنه ، هنالك قطعة قماش ممزقة

Akhawia.net

من المفروض انها لوحة . ومرآة رسم عليها رجل وامرأة في دهليز تظنهما للوهلة الاولى انت ومرافقتك ، هي الاخرى يفترض انها لوحة . . ومرايا مقعرة ومحدبة يتحول وجهك فيها الى بشاعات . . كذلك من المفروض انها لوحات . .

هنالك حزم من المسامير وهياكل سيارات محطمة وعجلات من المفروض انها تماثيل ايضا ! وغيرها وغيرها من المهازل . . .

ولكن الزيارة تظل مثمرة ومحرضة . .يكفي ان يكون في المتحف مبدع واحد كي يكون هذا العصر منحنا شيئا . . .ومودلياني وجياكومتي المبدعان المعاصران يملآنك بالعزاء عما لقيته من اهوال في متحف الفن الحديث . . .

وتذكرت رساميا العرب التشكيليين المعاصرين وازددت اعجابا بهم . . . ان في العراق وفي لبنان وسوريا والسودان ومصر اعمالا ـ سمحت لي الظروف بالاطلاع عليها ـ تضاهي ما شاهدته من (فن) في متحف الفن الحديث بروما . . . (ولعل في بقية البلدان العربية التي لم اطلع على نتاج فنانيها ابداعا اكبر) . . .

اقترح اقامة معرض للفن العربي المعاصر

. . . نطير به الى اوروبا بعد ان نختار من كل بلد نماذج لكبار فنانيه (غير الرسميين) وانا واثقة من انه سيكون واجهة حضارية نفخر بها . . اقول هذا انا المهووسة بالفن وقد قضيت نصف وقتي اركض بين متاحف العالم القديمة والمعاصرة عاماً بعد عام . . .

ان الفن العربي التشكيلي ـ في نظري ـ معاصر بل متفوق .

Akhawia.net

روما ٢/ ٨/ ٧٣

لمسة حنان

طعنة خنجر ،

أم لوحة اعلانية منسية ؟

مقص يفتح جرحا ، ام دعاية سياحية ؟ . . . هذا ما كان يغلي به رأسي ، حين تعثرت بهذه اللافتة السياحية في شارع من اهم شوارع روما (الساحة المواجهة لفندق برنيني قرب فيافينيتو) . . .

اللافتة تقول : زوروا الاردن ، والقدس ، المدينة المقدسة ـ اتصلوا بمكتب السياحة الاردني . وفي اللافتة عنوان المكتب ورقم هاتفه ! . .

توقفت امامها طويلا وتساءلت : ترى الم يسمع مكتب السياحة الاردني بسقوط القدس عام ١٩٦٧ ؟ . . أم تراني أنا ركبت آلة الزمن ، ورجعت بي الايام الى ما قبل الحرب ، ما قبل ضياع القدس ؟

تخيلت سائحا يتصل هاتفيا بالرقم الذي تعلن عنه اللافتة ويقول : انا سائح ، واود زيارة القدس فهل يمكن ان تنظموا لي ذلك ؟ . . بماذا ترد عليه الموظفة الاردنية المختصة في المكتب السياحي ؟ . . وهل ستقول له : عذرا لقد نسينا ان الاحتلال يغرس رماحه المتوجة بالجماجم فوق هضاب المدينة المقدسة ! . . نسينا . .

هذه اللافتة المنسية في شارع روما تلخص المأساة كلها : مأساة الاهمال . عدم التنظيم . عدم التخطيط . انها تذكر بالوجع العظيم : سقوط القدس ، ولكنها ايضا تلخص ابرز اسبابه ، وتكشف مدى الاهمال الاعلاني في الخارج ، فاللوحة منسية منذ ستة اعوام على الاقل . .

ستة اعوام ونحن ندعو لزيارة اسرائيل ، وتكاليف الدعاية ندفعها نحن ! . .

لوحة منسية ، اهمال من المكتب السياحي الاردني ؟ . .

ربما لا . . . فلنحسن الظن ، ولنجد تفسيرا فيه « لمسة حنان » . . . لنقل مثلا ان السياحة الاردنية لم تنتزع اللوحة من مكانها ، تفاؤلا منها بأن القدس ستعود عربية قبل ان ينتهي العمال من فك مسامير اللافتة اياها . . . وانها تركتها هناك من باب « تفاءلوا بالخير

Akhawia.net

تجدوه » ! . .

ولكن ليس بالتفاؤ ل وحده نحرر الوطن الضائع . . .

لنقل ان السياحة الاردنية تركت اللافتة هناك عمدا ، كي تذكر السواح العرب بأنه لا حقّ لهم في السياحة واللهو بينما الوطن يحترق والقدس ضاعت . .

لنقل اي شيء (تمويهي) آخر . . لكننا لن نملك الا ان نقول : انزلوا اللوحة المنسية من مكانها ، واعيدوا الوطن المنسي الى وطنه .

Akhawia.net